الاستحكامات الدفاعية في مدينة بلد (اسكي موصل) في العصور الإسلامية

م. د. فرحان محمود الياس
جامعة الموصل– كلية الآثار

الملخص

تعد مدينة بلد (أسكي موصل) من بين المدن المهمة التي لعبت دوراً هاماً منذ عهودها المبكرة. ونتيجة لأهميتها كان لها حضورا على مشهد أحداث المنطقة، إذ أن حصانة الموقع من جميع الاتجاهات قد أسهم في تحقيق أمن واستقرار المدينة، والذي كان له بالغ الأثر في أحداثها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فموقع اي مدينة يتحدد بجوانب تختلف باختلاف العوامل المحيطة بها، وهذا هو ما انطبق فعلا على مدينة بلد.

جاء اختيار موقع المدينة نتيجة توافر هذه العوامل التي حققت الحد الاقصى من التحصين من خلال ما اراده مصممو المدينة، وما اضافته التحصينات الاخرى والتي اشتركت مع عناصر تحصين المدينة، مثل الخنادق وبناء الجدران حول القلاع مع الحاقها بالوسائل الدفاعية. وقف وراء اختيار هذا المكان، هما، أهمية الموقع للمدينة، والذي ارتبط بالأحداث التاريخية من بين المدن الاسلامية، وكان موفقا في العصور الإسلامية المختلفة من نواحٍ مهمة، كالطرز العمارية التي كانت واضحة في تحصين المدينة بشكل جيد وذلك باستغلال هذه الميزات الطبيعية مثل وجود نهر دجلة ووادي المر وارتفاع أرض القلعة، فضلاً عن إحدى أهم أهداف الدراسة وهي تسليط الضوء بشكل رئيس على تركيبة العناصر الدفاعية في المدينة والتي لعبت دورا فاعلا في تحصين المدينة.

الكلمات المفتاحية: بلد، اسكي موصل، علم الآثار، العصور الإسلامية، وادي المر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Defensive Fortifications in the Town of Balad (Aski Mosul) during Islamic Ages

Dr. Farhan Mahmoud Elias

University of Mosul- College of Archaeology

Abstract

The town of Balad is among the main towns. It had played its role since early dates. And for its importance, it had been a scene of events in the region. The area was open from all sides just like the other towns of Iraq. So for the sake of maintaining security, which will consequently affect the political, economic and social aspects of life, the location of the town was subject to various factors which apply to the town of Balad. The choice of location had been affected by different factors such as natural factors which were maximized by the architect in the designing of the town in addition to other fortifications usually installed in towns such as digging trenches around the town, building walls and castles along with attached facilities.

There are two reasons behind selecting this place: the importance of the town and its historical position among other Islamic towns that prospered during the Islamic ages in different aspects like architecture which was evident in the fortification of the town as well as exploiting the natural causes such as the river Tigris, Almur Valley and the elevation of the Castle. It is also one of the aims of the study to shed light on the major defensive installations in the town and the elements they contain that played an effective role in the fortification of the town.

Keywords: Balad, Aski Mosul, Archaeology, Islamic Ages, Almur Valley.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

عُدّت مدينة بلد (أسكي موصل) من المدن التي أدت دوراً هاماً منذ عهودها المبكرة، وكان لها حضوراً على مشهد أحداث المنطقة، نتيجة لحصانة موقعها الذي أسهم في تحقيق أمن واستقرار المدينة، والذي كان له بالغ الأثر في أحداثها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فموقع اي مدينة يتحدد بجوانب تختلف باختلاف العوامل المحيطة بها، وهذا هو ما انطبق فعلاً على مدينة بلد.

تناول البحث أهمية المدينة واستحكاماتها الدفاعية من جانبين، الأول منهما يتعلق بحصانة الموقع، والثاني يخص العناصر الدفاعية المستخدمة. أشار البحث الى أهمية حصانة الموقع ومدى الإفادة منه في الجانب الدفاعي، متمثلاً ذلك بنهر دجلة الذي يمر بمحاذات المدينة من جانبها الشرقي وبيان مدى الإفادة من ذلك في زيادة تحصين المدينة. فضلاً عن وادي المر الذي يجري بمحاذات جانبها الشمالي ويصب في نهر دجلة. كذلك عن طبوغرافية الأرض من حيث ارتفاع موقع المدينة عن السهل المحيط بها من جهات ثلاث، الشمالية، والشرقية، والجنوبية. والذي أسهم في زيادة استحكاماتها. وتطرق البحث الى الجوانب الأخرى والتي تخص نظام التخطيطي للمدينة وكثافتها العمرانية.

أما الجانب الآخر من البحث فسلط الضوء على الأمور المتعلقة بالعناصر الدفاعية المقامة حول المدينة، كالخندق والسور وأبوابه وأبراجه، وكذلك القلعة وبيان المزايا الدفاعية لكل قسم، ومدى فاعلية الدفاعية واشتراكه في الوظيفة مع العناصر الأخرى وما تضمه من اجزاء من حيث تصميمها وأشكالها ومدى توظيفها في تدعيم العناصر لتحقيق الأهداف الأمنية. وأسبر البحث في تخمين العصر الذي تعود اليه تلك العناصر بالاستناد الى تصاميمها وأشكالها مقارنة مع ما شاع في مناطق أخرى من ذلك العصر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاهمية التاريخية والحضارية لمدينة بلد

إن مدينة بلد من حواضر المدن المهمة على مر العصور والحقب الزمنية وأول ذكر لها يرد في العصر الاشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق. م) في عهد الملك سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق. م) بصيغة بلطاي او بلداني او ابلط او بلاطو[١] وفي كتابات الملك اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق. م) وتعني ارض الحياة[٢] وقالوا انها سميت بلط لان الحوت ابتلعت يونس النبي (عليه السلام) في نينوى مقابل الموصل وبلطته هناك[٣] ومنذ الفتح العربي الاسلامي عرفت المدينة باسم بلد[٤] واخذت بالنمو والازدهار وذاع صيتها بين المدن وكانت محط اعجاب الرحالة العربي والبلدانيون ووصفوها بأجمل ما رأوا، فيقول المقدسي المتوفى سنة (٣٥٧هـ) بقوله "بلد كثيرة القصور، حسنة البنيان، من جص وحجر وفرجة الاسواق والجامع وسط المدينة [٥]، وهيأت لها ظروف كثيرة ان تبرز بهذا الدور في المنطقة، لكن كان لابد من ايجاد وسائل واستغلال ما هو متاح من أجل توفير الحماية اللازمة، ولكي تكون لها حصانة وهذا حال كل المدن في مختلف العصور وخاصة الواقعة ضمن إقليم بلاد الرافدين بسبب الاخطار المحيطة، لكون المنطقة مفتوحة من جميع الجهات. وهي على مر العصور كانت مسرحا للأحداث بسبب المنافسة عليها من القوى المجاورة بسبب الموقع المتميز وتوفر الموارد والخيرات[٦].

ومن اجل المحافظة على امن المدن لما له من تأثير على الجوانب الأخرى من سياسية واقتصادية واجتماعية وغير ذلك، لهذا كان اختيار مواقع المدن يخضع لعدة شروط وأهمها هو حصانة الموقع، فضلاً عن الشروط الأخرى التي حددها البلدانيون أمثال أبن الربيع، بستة شروط هي "سعة المياه المستعذبة وإمكان الميرة المستمدة، واعتدال المناخ وجودة الهواء، والقرب من المرعى والمحتطب"[٧].

ان اختيار الموقع الجغرافي المتحكم الذي يتمتع بتحصينات طبيعية تغني عن إقامة منشآت دفاعية أو تعمل على زيادة فعالية تلك المنشآت[٨].

وهذا لم يكن مقتصرا على المدن الرئيسية في العصور التاريخية أو المتأخرة من حضارة العراق القديم، بل كان شائعا ومعروفا منذ العصر الحجري الحديث في المواقع التي انتشرت في مناطق شمال بلاد الرافدين، حيث تتوفر المراعي الخصبة وحيوانات الصيد والأرض الصالحة للزراعة المعتمدة على مياه الأنهار[٩].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجوانب التحصينية في المدينة

استطاع الإنسان ان يسخر بعض الموارد لأن تدخل ضمن الإجراءات الدفاعية والوسائل والتي سنتحدث عنها في موضوع البحث ومنها:

أولا: حصانة الموقع:

تتمتع مدينة بلد بموقع يميزها عن باقي المدن وهذا هيأ لها ان تكون محصنه بشكل طبيعي في أكثر من جهة. ان اغلب المدن الإسلامية تخضع إلى التخطيط الدائري، لما فيه من فوائد دفاعية أولا [١٠]. حيث ان صغر محيط المدينة نسبيا يسهل أمر الدفاع عنها، فضلا عن الكثافة العمرانية وتطوير أنظمة الشوارع والازقة مما يزيد من إمكانية الدفاع [١١]. لكن تحتمت الظروف ان تكون بعض المدن شبه دائرية (نصف قطر الدائرة) أو ثلاثة ارباع القطر كان يكون أحد أطراف قطرها يقع على حافة منحدر لوادي، أو ضفة نهر والمعروف ان الأنهار تسير بشكل مستقيم في بعض المناطق ومتعرج في مناطق أخرى حسب طبيعة الأرض التي يجري من فوقها وكذلك المحيطة به من حيث صلابتها وتموجها، إذ ان هذه الأراضي تخضع لقاعدة التجريف. لذلك في بعض الأحيان تقام مسناة أو تقوى أسس الاسوار والقلاع عند الحافة.

وكحال اغلب المدن الواقعة على ضفتي نهري دجلة والفرات وخاصة مدن شمال العراق حضيت المدينة بهذا الموقع كما في المدن الأخرى مثل الموصل [١٢]. وهذا ما يعزز أهمية وحصانة الموقع، إذ يحد مدينة بلد نهر دجلة من جهتها الشرقية مما اكسب المدينة تحصينا على طول تلك الجهة، وبالتالي سهل النهر مهمة الاتصال بالمدن الأخرى الواقعة على طول الخط من مدينة الموصل ونزولاً الى دار السلام مدينة (بغداد) والمدن الاخرى، وفي نفس الوقت تأمين خط دفاعي لها في حالات الحصار، وهذه الشروط تتطابق تماماً مع مواقع مدن أخرى، مثل مدينة الموصل بالنسبة لوجود النهر [١٣].

إذ ان احتضان النهر لمدينة بلد كما هو الحال لمدينة الموصل له أهمية اقتصادية وإستراتيجية كبيرة، فضلا عن ربط المدينة بغيرها من المدن الواقعة عليه، فانه أصبح بمثابة خط دفاعي لها من الشرق ويعد مورداً مائياً رئيساً لها [١٤]. وبالكاد القول ان مدينة بلد خضعت لنفس الظروف والأفكار التي تراكمت على مر العصور وجعلت المدينة تظهر في تخطيطها العام بهذا الشكل.

وعلى الرغم من ضيق مجرى النهر وانخفاض منسوب مياهه خاصة في مواسم الجفاف وفصل الصيف وتحديداً في النقطة المقابلة للمدينة في زاويتها الشمالية الشرقية، والتي تعرف بالمخاضة[١٥]. لكن هذا الانخفاض يكون موسمياً كما بينا، وهو ما سهل من عملية عبور القوافل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التجارية عبر تلك النقطة، فأصبحت حلقة وصل بين شرق الضفة وغربها، ويتصل بطرق أخرى تؤدي إلى طريق رئيس ربما كان يتفرع منه طريق الحرير.

وفضلاً عن نهر دجلة فهناك مصادر أخرى للمياه أحاطت بالمدينة وجعلتها أكثر تحصينا، منها وجود وادي يسير بمحاذاة طرفها الشمالي ويصب في نهر دجلة عند زاويتها الشمالية الشرقية والذي يعرف بوادي المرْ [١٦] (الخارطة) ويبدو انه لم يغير مجراه كثيرا لعدة قرون نتيجة لطبيعة الأرض المحيطة به والدليل على ذلك هو انه ذكر في المصادر التي تحدثت عن المدينة [١٧]. وهو من الوديان العميقة ويشكل حاجزا طبيعيا على امتداد تلك الجهة (لوح١).

لذلك عمد المهندسين إلى جعل التخطيط بهذا الشكل بحيث يكون جزء كبير من قطر المدينة يقع على امتداد حافة النهر والوادي لكونهما كما ذكرنا يمثلان عائق دفاعيا مهما وخطا دفاعياً لا يتأثر مثل الابنية بالانهيار أو الهدم والتصدع والضعف وبالتالي سهولة الاقتحام ويكون مكشوفا بسبب انخفاض الأرض في تلك النقطة من قبل المدافعين والسكان مما أضاف للمدينة ميزة دفاعية خاصة، وفي نفس الوقت اكتسبت المدينة ميزة المدن المستديرة في التخطيط وما له من فوائد متعددة من دفاعية وادارية واقتصادية فمن الناحية الدفاعية سهل عملية المراقبة والحماية كما اسلفنا.

أما المصادر الأخرى للمياه والتي استغل استخدامها في تحصينات المدينة. هي الجداول الموجودة تحت طبقة من الأرض والتي تنزل مياهها عبر قنوات طبيعية تعرف بـ(الكهاريز) [١٨]. وتتزود بجزء من مياهها من وادي المر عبر روافد صغيرة تنزل إلى أسفل بسبب ذوبان الصخور الرسوبية التي تتأثر بالمياه، وتزداد كمية المياه خصوصا في فصل الربيع فساهمت في تزويد الخندق بالمياه عن طريق ايصال قنوات اليه، وبما ان الجهة الغربية تكون أكثر ارتفاعا ويكون الانحدار باتجاه الشرق فكان من السهولة إيصال المياه إلى الخندق وقسم منه حتى إلى المدينة، لذلك تشكل المصدر الاهم في تزويد الخندق والمدينة بالمياه باقل تكلفة.

ان الأرض (السهل) تسقى سيحاً لانبساطها، بواسطة ماء الوادي الأتي من أبو ماريا[١٩] والكسك وتحويل قسم من مياهه التي يحصرها السد إلى القني (الكهاريز) [٢٠]. وهذا النوع من طرق الري والزراعة قد استعمله الآشوريين في مشاريعهم الاروائية [٢١].

ومن الأمور التي ساعدت على حصانة الموقع هو. ارتفاع الأرض التي أقيمت عليها المدينة وخاصة عند الأجزاء الشمالية الغربية عن باقي المناطق المجاورة. مثل الجهة الجنوبية الشرقية والتي تمثل سهلا خصبا أستغل في الزراعة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالنسبة لارتفاع الأرض في أعلى نقطة، وهي الزاوية الشمالية الشرقية والتي أقيمت عليها القلعة حيث يصل ارتفاع تلك النقطة إلى (٨٢٢ قدم) عن السهل الذي يجاورها وهو ارتفاع ليس بالقليل ويصعب وصول أي هجمة خصوصا تلك التي تضم عربات أو خيول ان حاولت تسلق هذه القمة من جهة النهر لأنها الجهة التي تقابل القلعة، وبالتالي تكون الجهة الشرقية للمدينة مؤمنة، والتي غالبا ما تشهد نشاطا لهجمات الأقوام الأجنبية القادمة من تلك الجهة . كما حدث في مدينة الموصل، وهذا عامل مهم في اختيار الموقع في اغلب القلاع، التي تقام في أركان المدينة في موضع حصين [٢٢]، مما يسهل عملية الرصد ومجابهة الأعداء[٢٣].

ومن الأمور الأخرى التي امتاز بها الموقع هو صلابة الأرض والتي تمتاز بكونها صخرية وذات طبقات سميكة، تعلوها طبقة طينية خفيفة، مما هيأ لها ان تقام فوقها المباني الضخمة والمختلفة والتي تضم عناصر عمارية متعددة مثل الجدران والدعأمات والأعمدة والقباب والأقبية والسلالم وغير ذلك، وهي بذلك تكون من الناحية الجيولوجية اسهمت في تحقيق هذه الوظيفة، إذ ان صلابة الأرض هي سمة تنطبق على مدن شمالي العراق [٢٤].

كذلك هيأت صلابة الأرض ان يقام خندق قريب من السور دون انهيار الأخير أو تأثره بالرطوبة كذلك المباني الأخرى القريبة من الخندق والذي يكون في اغلب الاوقات مملوء بالمياه.

كذلك ان انحدار الأرض نحو الأطراف وخصوصا إلى الجهة الجنوبية الشرقية، وساعدت من التخلص من المياه المستخدمة والثقيلة ومياه الامطار، وبالتالي تقليل خطر الرطوبة على المباني ومنها السور والقلعة.

وأفادت صلابة الأرض من ظهور الأنهار الجوفية الصغيرة حيث وفرت الأرض الصخرية نظاماً أشبه بالقنوات او الماسورات[٢٥] تجري فيها مياه العيون أو من وادي المر دون أن تضر بالمباني[٢٦].

ثانياً: الكثافة لعمرانية

ومن الوسائل الأخرى الدفاعية وهي من صنع الإنسان ودون قصد فهي الكثافة العمرانية في المدن والتي تهيئ وسائل دفاعية أكثر فحققت بنية محتشدة للمدينة، مما يسهل عملية الدفاع عن المدينة أكثر ويقلل من زخم المهاجمين وذلك لعدم وجود مسافات واسعة بين احياء المدينة المتصلة بعضها ببعض [٢٧]. وهذا الحال ينطبق على مدينة بلد.

وهذا النسيج المتراص ظهر في مباني الموصل القديمة حيث لا يفصلها عن بعضها سوى الأزقة والطرق الملتوية [٢٨].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصبحت هذه الأبنية خطوط دفاعية ثانية من داخل المدينة في حال ضعف الوسائل والعناصر الدفاعية الأخرى وتمكن العدو من دخول المدينة، فقد وفر هذا النسيج المزدحم والمعقد من العمران مكان لاحتماء المدافعين أو ممن يقدم لهم الإسناد من السكان.

كذلك يوفر حماية أكثر من ضربات المنجنيق أو المقذوفات والاسلحة الأخرى التي يصوبها العدو إلى داخل المدينة.

أما الأزقة والطرق الملتوية فتحقق أيضا بعض الفوائد الدفاعية وذلك لانتهاء قسم منها ببعض المساكن والمباني بحيث يؤدي ذلك إلى محاصرة الأعداء المتسللين الذي يجهلون مسالكها[٢٩].

وفضلاً عما تقدم فان موقع المدينة القريب من الموصل والواقع على نفس الخط، مما هيأ لها طلب النجدة والدفاع عنها في حالات الخطر، ففي الفترات المتأخرة من العصر الإسلامي وخاصة خلال العهد العثماني، كانت بلد تابعة إداريا لمدينة الموصل [٣٠]، وكانت الأخيرة ذات شان كبير من الناحية الدفاعية والعسكرية مقارنة بمدينة بلد، وذلك بحكم مركزها الإداري وعدد سكانها وأهميتها الإستراتيجية من الناحية الإقليمية، والعسكرية جعل مدينة بلد ضمن حماية المركز.

ثالثاً: العناصر الدفاعية

أما العناصر التي أنشأها معمار المدينة والتي تمثل الاستحكامات ذات الفعالية اعتماداً على دراسة مسبقة قبل انشائها وتتمثل بعناصر رئيسية تكاد لا تخلو أي مدينة منها وهي:

- الخندق

يحيط بالجزء الغربي والجنوبي تحديداً من المدينة خندق يتصل بالنهر(لوح٢). بعرض(١٠م) تقريبا وعمق(٣م) تقريبا يتقدم السور (الخارطة). ويعد شق الخنادق التي تتقدم الأسوار أمرا ضروريا في تحصين المدن. ويمثل الخط الأول، ووظيفته الأساسية هي إعاقة المتسللين من المهاجمين ومنع تقدمهم نحو السور وذلك لصعوبة اجتيازه لأنه يؤخذ بنظر الاعتبار عند إقامته جملة أمور منها: يخضع لعمليات حسابية تتعلق بمقدار الوثبة وما يتعلق بالقوة والجهد عند الفارس والمشاة بحيث يكون عرض الخندق بدرجة لا يستطيع الفارس أو الراجل من الوثب واجتياز الخندق، كذلك العمق والانحدار بحيث يكون بدرجة يصعب النزول والصعود من أسفله إلى الجهة الأخرى خصوصاً إذا كان مملوءاً بالماء، وبالنسبة للانحدار يكون بدرجة يصعب الصعود إلى الضفة الأخرى في حال النزول، وكذلك تكون بدرجة لا تصل إلى انهيار جدران الخندق أو تهدمه التي تضعف وظيفته، وأحيانا تبطن الجوانب بحيث تبنى بالحجر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجص لغايات متعددة ، منها عدم انهيار الجوانب، كذلك الاحتفاظ بكمية المياه بحيث يصبح أشبه بالحوض ليحتفظ بكمية المياه أطول مدة كذلك منع تسرب المياه من الخندق والضرر بالمباني القريبة الأخرى مثل السور بفعل الخاصية الشعرية، فضلا عن أنه يجعل وجه البناء أملس وبالتالي يعيق المهاجمين من التشبث ان حاولوا النزول لعبور الخندق ومن المعروف ان فكرة اقامة الخنادق استخدمت في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما اشار عليه بها سلمان الفارسي عندما اراد الرسول تحصين المدينة ضد المشركين وانسحب اسم الخندق على هذه الغزوة [٣١].

وعند محاولة المحاربين أو الفرسان نزول أو عبور الخندق، فسوف يتعرضون إلى الوهن أو الغرق، وإن تمكنوا العبور يصلون منهكي القوى، وبالتالي يتمكن المدافعون المتواجدون فوق الاسوار أو الابراج من النيل منهم بسهولة.

ولعبور الخنادق يضطر المهاجمون أحياناً إلى اختيار اضعف نقطة في الخندق إن وجدت، أو استخدام وسائل أخرى، إذ كان العرب المسلمين يستخدمون وسائل أخر في حروبهم، منها مثلا طمر تلك النقطة بالبرادع والإبل الهزيلة بعد نحرها وبجلود الإبل المملوءة بالرمال[٣٢].

ولملئ الخنادق يتم عمل قناة تصل إلى الأنهار أو الوديان القريبة وهذا الحال ينطبق على مدينة بلد، فان التنوع الطوبغرافي لموقع المدينة خدم أغراض كثيرة، وهو ما يؤكد نظرية التوفيق في اختياره لتسخير هذا التنوع في زيادة التحصين. فارتفاع الأرض في الزاوية الشمالية الشرقية ساهم في اختيار موقع القلعة والذي يعد ضرورياً في إقامة هكذا نوع من الأبنية، يقابله انخفاض للأرض تدريجياً باتجاه الجنوب الشرقي مكن من أن يكون مستوى النهر بمستوى أرضية الخندق وبالتالي وصول المياه إلى الأخير، ونلاحظ استمرار هذه العملية إلى الوقت الحاضر (لوح٢)، إذ تتصل قناة الخندق مباشرة بمجرى النهر، وتعتمد كمية المياه الواصلة إلى الخندق على عملية ارتفاع وانخفاض منسوب مياه النهر، لكن يبدو أن المياه تصل إلى الخندق حتى في حالة انخفاض منسوب النهر، وذلك نتيجة لانخفاض مستوى أرضية الخندق والقناة التي توصل بينه وبين النهر، وقد ساعد ذلك على أن تكون مياه النهر مصدراً دائماً ومهماً لمياه الخندق وتصل تلقائياً دون أي جهد. كذلك من المصادر الأخرى للمياه هي القنوات المائية التي تتدفق من العيون غرب المدينة (الكهاريز) والتي سبق الحديث عنها، وخاصة عند ارتفاع مناسيب المياه في فصل الربيع حيث يتصل بعضها مع وادي المرْ.

ان فكرة وجود الخنادق هي ملازمة لفكرة وجود العناصر الدفاعية الأخرى من اسوار وقلاع وغيرها ولا تقل أهمية عنها، وتعد الخط الأول ان استعصى اجتيازه فان بقية العناصر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكون بعيدة عن الخطر، لذلك كان ظهوره في اغلب المدن منها تلك التي سبقت العصر الإسلامي، مثل مدينة الحضر التي يتقدم سورها خندق [٣٣].

واستمرت هذه الفكرة في تحصين المدن كما في مدينة الموصل التي مصرت سنة (١٦هـ/٦٣٧م) وهي ذات تخطيط شبه دائري [٣٤]. وواسط التي تخضع لنفس النظام من التخطيط وكشف عن بقايا سورين وخندق[٣٥]. ومدينة السلام (بغداد) (١٤٥هـ/٧٦٢م) ذات التخطيط الدائري الهندسي والتي تضم ثلاث أسوار وخندق [٣٦].

- السور

فضلاً عن وجود الخنادق وكأغلب المدن وخاصة الإسلامية منها، تعد الاسوار من أهم العناصر الى جانب الخنادق، فضلاً عن كونها تحدد امتداد وتبيان حدود مبانيها لتحقيق الفائدة الامنية أو الإدارية.

ان سعة وأهمية ومكانة المدينة من النواحي الجغرافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، اقتضت الحاجة ان يكون لها سور حصين يحتمي به سكانها[٣٧]. ويذكر الأستاذ فؤاد سفر في تقريره عند زيارته للمدينة انها محاطة بسور يكاد يشكل نصف دائرة قطرها مواز لشاطئ دجلة[٣٨].

واستظهرت التنقيبات جزء من السور من الجانب الشمالي ولمسافة أكثر من (١١٠ م) ويضم هذا الجزء كذلك برج وعدد من الوحدات البنائية الملاصقة للسور [٣٩]. كذلك استظهار جزء من الضلعين (الغربي والجنوبي) للسور (الخارطة). وضم كل ضلع منه على بوابه وعدد من الأبراج والمساند (طلعات من الداخل).

أما جانب السور الشمالي فيتراوح سمكه بين (٧٥-٩٠سم) وارتفاعه (٦م)، لكن انهارت معظم أجزاؤه مع الأبراج ولم يبقى منه الا في الزوايا لكونها تصمد أكثر في مقاومة العوامل المختلفة (مخطط١). ان هذا السمك هو مناسب من حيث الشروط الهندسية في انشاء الاسوار الخارجية للمدن وذلك لكون المادة الانشائية الرئيسية هي الحجارة والتي تمتاز بالصلابة اكثر من بقية المواد مثل اللبن او الطابوق وللتعويض عن ذلك يضطر المعمار إلى زيادة سمك الجدار ليصل إلى (١، ٥م) أو (٢م) .

ان ميزة سمك الاسوار عن باقي المباني هي ضرورة يجب مراعاتها في البناء، وذلك لزيادة مناعة الأسوار، وهذه كانت متبعة في اغلب المدن حيث يصعب على الأعداء اختراقه بسهولة فيما إذا نجحوا في الوصول اليه واحداث بعض الثغرات لان هذه العملية في ظروف الحرب تحتاج إلى وقت وجهد وخسائر بشرية كبيرة [٤٠]. فضلا عن الناحية الإنشائية حيث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عرض الجدران يخضع لقاعدة تحمل الثقل أكثر، من حيث توزيعه، وبالتالي تكون مقاومته أكثر وخصوصا وان جدران الأسوار تكون عرضة لنيل المهاجمين منها. كذلك ثقل الأشخاص الذين يتمركزون أعلاه في بعض الحالات كذلك يوفر ممشى للجنود اعلاه [٤١].

وامتاز جانب من السور وخاصة الجزء الشمالي بكونه يضم عدد كبير من الوحدات البنائية سيأتي الحديث عنها. كذلك على عدد من الدعامات أشبه بالطلعات (مخطط١). وهي مختلفة في الطول والعرض بنيت بنفس المادة ومن الحجر والجص وبنفس ارتفاع السور، أما من حيث السمك فبعضها بنفس سمك الجدران والأخرى يصل سمكها إلى (١م).

ويمكن القول إن أقدم نماذج للأسوار المكتشفة هي تلك التي تحيط بالطبقة السكنية الثالثة من تل الصوان[٤٢]. حيث يتقدم السور خندق [٤٣].

ولما للأسوار من أهمية في حماية المدن والمستوطنات أصبح وجودها أمرا ضروريا وخاصة في المناطق التي تشهد أخطاراً خارجية، كتلك التي تكون مفتوحة من عدة جهات كما في العراق الذي يعد وجهة للأطماع الخارجية. فاستمر ظهورها مع تقدم فن العمارة والبناء وخير دليل على ذلك هو ما ظهر في المدن التي نشأت في فترات مبكرة على ارض هذا البلد حيث يعد السور الذي يحيط بمدينة الوركاء [٤٤]. من أهم الأسوار في السهل الرسوبي الذي يعود إلى بداية الألف الثالث ق. م، ويبلغ محيطه بحدود (٩. ٥ كم) وسمكه بحدود (٤ – ٥ م) وهو مبني باللبن المستوي المحدب [٤٥].

ان تدعيم الأسوار بالدعامات من البناء يخدم عدة اغراض انشائية ودفاعية فالغرض الأول هو ان هذه الدعامات هي ساندة للسور .

أما الخصوصيات الدفاعية لهذه الطلعات انها كونت أشبه بالغرف الصغيرة التي يمكن استغلالها من قبل المدافعين أو ساكني القلعة وبالأخص عند الزوايا (شكل١)، كذلك يمكن ان تؤدي وظيفة المداخل المزوّرة أو مصدات دفاعية يحتمي بها المدافعون في حال اقتحام القلعة وربما في حالة احداث ثغرة في السور واختراقه فمن الممكن معالجة الموقف في حصر تلك النقطة داخل إحدى هذه القطوعات أو عن طريق سدها بالأحجار وبالتالي احباط العملية.

أما وجه السور من الخارج فهو صلد. واتباع هذه الطريقة في بناء الاسوار بأن يجعل البنّاء وجه السور صلدا وتركيز التفاصيل على الداخل هو لغرضين أساسيين، الأول دفاعي وهو عدم ترك مجال للمهاجمين من التشبث بالسور للصعود أو لعمل ثغرات فيه، فيكونوا مكشوفين من قبل الرصد، والغرض الثاني هو معالجة مناخية وهي حماية الجزء الخارجي من السور من مياه الامطار والرطوبة حيث يعمل السطح الخارجي على انسياب مياه الامطار وبالتالي تقليل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأثير الرطوبة التي يمتصها الجدار لكون المادة الرابطة وهي الجص والتي تكون أكثر المواد امتصاصا للرطوبة والتأثر بها نتيجة للتفاعل.

- **البوابات:**

ويضم سور المدينة عدد من الأبراج والبوابات المكتشف منها ثلاثة، واحدة في الجدار الغربي. وكذلك الشمالي وأخرى في الجنوبي، وبخصوص البوابتين (الشمالية والجنوبية) يبدو إنهما من البوابات الرئيسية لكونهما تقابلان جهتين مهمتين تقعان على امتداد الطريق الممتد من الشمال إلى الجنوب. ويبدو ان البوابة الشمالية كانت تقابل الطريق القادم من ديار بكر وجزيرة ابن عمر، فقد أشارت المصادر إلى التجارة بين تلك البلدات والمدينة. أما البوابة الجنوبية فهي تقابل الطريق الذاهب باتجاه الجنوب نحو الموصل ونزولا إلى بغداد وهو امتداد للطريق التجاري الرئيسي حيث ذاعت شهرة المدينة بكونها محطة للقوافل التجارية [٤٦]. وبسبب أهميتها الاقتصادية في مجال الزراعة والصناعة، انعكس ذلك على طابعها التجاري حيث أصبحت محطة للقوافل التجارية، كذلك كانت منزلا لبعض الخلفاء والامراء [٤٧]. لتوفر كل ما يلزم فيها من سبل العيش الرغيد.

وبالنسبة للبوابة الشمالية، (مخطط١)، وكما أفصحت عنها التنقيبات تضم مدخل سعة فتحته (٥م) تقريبا بالقرب منه مدخلان آخران أصغر منه وعلى جانبي هذا المدخل عمودان مندمجان مع جدار السور مبنيان بالحجارة والجص [٤٨]. وبالنسبة للبوابة الغربية وفي منتصف الضلع الغربي تقريبا. أظهرت التنقيبات حافات مستقيمة بكلا الجهتين ومن المحتمل أن يكون المدخل الغربي للمدينة(مخطط٢) بدليل وجود صنارتين كان يرتكز عليهما مصراعي الباب والمسافة بين الصنارتين هي(٧م)، والتي تمثل سعة المدخل.

أما البوابة الجنوبية والتي كشفت التنقيبات عن جزء كبير منها وملحقاتها وما تضمه من تفاصيل [٤٩]. تتألف مدخل واسع فتحته من الوسط (٧، ٧م)، (مخطط٣). ثم يبدأ بالأتساع ليكون في النهاية بسعة (١٠م)، وعلى جانبيه برجين [٥٠].

وعلى يسار الداخل فتحة قد تكون مدخل حيث هنالك انحراف عن الجدار الجنوبي نحو الشمال يؤدي إلى وحدات بنائية، تقع ضمن مساحة كبيرة تضم فناء وغرف للحرس، وكذلك الجهة الأخرى المشابهة لها وتضم مدخل إلى الجهة الغربية يؤدي إلى الداخل حيث يوصل إلى مدخل آخر [٥١].

ويمكن القول أن هذا التصميم من البوابات يخضع لنظام البوابات المزوّرة . وهو لناحية تكتيكية تتمثل في عرقلة المهاجمين. إذ يضطرون بعد اقتحامهم المدخل إلى الانحراف بزاوية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة إلى المجاز الثاني. فيسهل على المدافعين ضربهم وذلك لشل حركتهم بفعل الازدحام وانكشاف جوانبهم [٥٢]. فتتعرض لسهام المدافعين من شرفات المبنى المقابل للداخل[٥٣]. أو الممر المحاذي للسور من الداخل، وظهرت هذه المداخل في بعض المدن قبل الإسلام كما في مدينة الحضر القرن (٢ ق. م)، القرن(٢م) [٥٤]. كما ان مداخل بغداد المدورة من القرن الثاني للهجرة أولى الأمثلة الصريحة لتلك المداخل في العصر الإسلامي[٥٥]. وظهرت ايضا بشكل واضح في تحصينات الشام ابان الحروب الصليبية في العصر الاتابكي وفي مصر في عهد صلاح الدين الايوبي بين (٥٦٤ – ٥٦٧) في مداخل اسوار القاهرة[٥٦].

- أبراج السور:

واستظهرت التنقيبات في أجزاء من جهات السور الشمالية والغربية والجنوبية عدة أبراج[٥٧]. فضم السور الشمالي برج ضخم لم يبقَ منه إلا جزء من أسسه (مخطط١). قطره (٦,٨٠م) ويبرز عن السور بمقدار (٥,٩٠م)، ولإسناد هذا الجزء أنشئ مسند سميك بشكل صلد ملئ بالتراب وبعض القطع الحجرية والجصية. ان جعل البرج بشكل صلد لكي يصمد أكثر ويمنحه قوة وربما استخدم سقفه لوضع المعدات الحربية مثل المنجنيق وغيرها، وهذا الأسلوب من البناء ظهر في مدن أخرى مثل مدينة الحضر[٥٨]. وقد بني القسم الاسفل منه بقطع كبيرة من حجر الحلان، والأجزاء الأخرى بقطع أصغر. ويرتفع عن مستوى الأرضية بمقدار (٣-٤ م). وفي الزاوية الشمالية الغربية أظهرت التنقيبات برج كبير نصف دائري ، قطره بحدود (٦م)، (مخطط٦)، جدرانه سميكة من الداخل تشكل دعامة صلدة تبدأ من منتصف مقطع البرج الذي يمثل حافة السور ليؤلف سطح البرج (شكل٢)، وطرفه الأخر سلم يؤدي إلى سطح البرج. وبالنسبة إلى الجزء الغربي هنالك برجان يمثل مقطعيهما نصف قطر الدائرة بقياس (٥,٤٠) (من الخارج)، وهنالك مساند من الداخل لإسناد وتقوية السور. وقد بنيا بقطع الرخام المهندمة. أما الجهة الجنوبية الغربية فضمت برج ذو تصميم خاص بشكل مضلع ذو زاوية منفرجة، لكونه يقع عند ملتقى الضلعين (الغربي والجنوبي) (مخطط٧)، ويمثل وحدة بنائية متكاملة، منها عدد من المساند وجدار يمتد من نقطة التقاء الجدارين، أقيم لكي يسند طرفي الجدارين في تلك النقطة، كذلك ليستند عليه جانب السلم الذي يؤدي إلى أعلى البرج (شكل٢). تكمن أهمية هذا البرج بهذا التصميم والذي لم نلحظه في أية تحصينات. بحيث أراد المعمار أن يجعل منه وحدة عمارية، من الناحية الدفاعية، حيث يمكن المدافعون من المراقبة على الزاويتين الغربية والجنوبية. ومن الناحية الإنشائية هيأ هذا التصميم في تقوية وإسناد السور في أضعف نقطة والمتمثلة في التقاء الجدارين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الجدار الجنوبي من السور أفصحت التنقيبات عن بوابة سبق الحديث عنها وتضم برجين، واحد في كل جانب منها، وهما بشكل نصف اسطواني (مخطط ٤ و٥)، (لوح٣).

وهي ذات مغزى دفاعي أولا وهو الرصد والمراقبة والدفاع من خلال رمي السهام أو مراقبة تحركات العدو وحماية السور.

والغرض الثاني هو عماري وذلك لتدعيم السور وخاصة عند طرفي البوابة التي تمثل نقطة ضعف في عمارة السور حيث تشكل نهاية طرفي جدار السور فتكون وظيفة البرج أشبه بدعامة يستند عليها طرف الجدار.

وفيما يخص تاريخ البناء فنرجح عودته إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وما بعده استنادا إلى عمليات التنقيب، حيث لم تظهر بقايا لأسس أخرى من السور وما يلحق به. كذلك تصميم الأبراج الشبيهة بأبراج تحصينات أخرى معاصرة تقريبا، مثل الأخيضر وخان عطشان. كذلك الأعمدة المندمجة، وكما هو معروف أن الأعمدة المندمجة يعد طرازاً سائداً في المدينة في خلال الازدهار العمراني التي شهدته منذ القرن الثالث الهجري ومن منتصف القرن السادس الهجري. فيمكن أن نرجح عودة البناء إلى القرن الثالث الهجري وما بعده.

- الوحدات الملحقة بالسور:

أما الوحدات البنائية على طول هذا الجزء المستظهر من الجزء الشمالي (مخطط١). تتألف من قسمين، فالقسم الأول يشكل قاعات متجاورة، الأولى يمثل جدارها الشمالي جدار السور وهي بقياس (٤×٢,٤٢) وتضم مدخل في الزاوية الجنوبية الغربية سعة فتحته (٥٧سم) وهناك غرفة صغيرة بقياس (٢,٣٠م× ٢,٣٠م) سدت بجدار أنشأ فيما بعد بدليل وجود دعامة تمثل الاتصال مع القاعة، ويلاصق هذا الجزء قاعتين الأولى تضم مدخلين الأول مشابه لمدخل المجاورة لها وبنفس القياس أما المدخل الثاني فينفتح على القاعة الملاصقة لها سعة فتحته (٨٦سم). أما الأخرى المجاورة لها فهي بمثابة ثلاث قاعات تنفتح على بعضها متساوية في الطول (٤,٥٦م)، الأولى بعرض (٢,٥٧م) تضم في وسطها دعامة مربعة لحمل السقف. والوسطى والثالثة (١,٧٠م).

أما القسم الثاني يتألف كذلك من ثلاث قاعات متساوية في الطول (٦,٧٠م). والأولى والثانية متساوية بالعرض ((٢,٥٨م)) والوسطى (١,١٠م). ويجاور هذا القسم قسم أخر يتألف من ثلاث قاعات متناظرة في التصميم والقياس أبعادها (٢٨٥×٦,٧٠م)، باستثناء الوسطى فهي بعرض (٢,٥٦م)، والملاحظ عليها أنها استخدمت كإسطبلات للخيول، والملاحظ أن هذه القاعات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنشأت بعد اكتمال بناء السور، بدليل وجود بقايا جدار السور بشكل قوس ممتد إلى داخل الغرفة وكذلك الحال بالنسبة للقاعة الثالثة.

وتضم القاعتين الأولى والثالثة حنيات داخل الجدران ربما استخدمت كإسطبلات ومرابط للخيول بدليل وجود المعالف واضحة بالجدران وهي من أصل البناء[٥٩].

وعلى مسافة (٨م) من هذه الوحدات البنائية يأخذ جدار السور بالانعطاف نحو الخارج بشكل زاوية منفرجة، ويستمر هذا الانعطاف حتى البوابة الشمالية، ثم يأخذ بالاستقامة مرة أخرى حيث موقع البرج.

أما الوحدات الخارجية في تلك النقطة وخلف البرج من الداخل وهي عبارة عن انحناءات سبق الحديث عن وظائفها.

لذلك فكان إلحاق السور بعدد من الوحدات البنائية والاضافات هي ضرورة تخدم عدة اغراض التي ذكرناها وعرفت في أسوار مدن أخرى.

- القلعة:

ان التخطيط العام للقلعة هو مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب (٨٢/٢٠م) من الجهة الشرقية و(٨٢/١٥م) من الجهة الغربية، وبعرض (٤٨/٨٥م) من الشرق إلى الغرب (مخطط ٨)، (لوح٤).

وهذا النمط من التخطيط المتمثل بالشكل المستطيل شائع في تخطيط القلاع وخصوصاً تلك التي تبنى على حافات الوديان والمنحدرات وضفاف الأنهار، حيث تكون الاستطالة على امتداد الحافة لاستغلال الانحدار الموجود وذلك لزيادة في التحصين من حيث المراقبة وصعوبة التسلق الوصول إلى البناء من قبل المهاجمين.

- مدخل القلعة:

وتضم القلعة مدخل وحيد يتوسط جدارها الشمالي [٦٠]، والاكتفاء بمدخل واحد هو لناحية أمنية ودفاعية لأن تعدد المداخل يعد من نقاط الضعف في المباني الدفاعية سواء أكانت أسوار أو قلاع وهذا ما ارتأى اليه المعمار في بناء القلعة.

ويتوج هذا المدخل عقد مدبب مبني بالحجارة والجص ومبطن من الداخل بقطع المرمر، سعة فتحته (٢/٣٨م) وينفتح بشكل مباشر على الفناء الذي يتوسط القلعة وهذا الفناء هو يأخذ شكل التخطيط العام للقلعة وهنالك تفاوت في القياس بين جهة وأخرى، فطوله من الجهة الغربية (٤٥/ ٦٧م) ومن الشرقية (٣٨/٧٣م) وبعرض (٣٨/٧٣م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أبراج القلعة

وتضم القلعة في كل ركن من اركانها على برج اسطواني ضخم، وتمتاز هذه الابراج بميزة وهي أنها تبرز عن محيط البناء، وبهذا تحقق غرضاً دفاعياً، إذ تشغل العدو وتقاطعه على جميع المناطق وتبادل الرؤيا والمعلومات وسرعة نقل الأوامر بين المدافعين والموجودين في الداخل(٦١).

وهذه الابراج متفاوتة في اقطارها حيث يبلغ قطر كل من البرجين في الجهة الشرقية (٧,٧٠م) أما البرجين في الجهة الغربية فيبلغ (٨,٢٥م)، حيث يقل قطر البرجين في الجهة المطلة على النهر وربما هذا التفاوت في القياس وذلك لتخفيف الثقل عن تلك أسس البرجين من تلك المنطقة بسبب رخاوة الأرض بفعل الرطوبة وانحدارها حيث تكون أقل صلابة في بقية النقاط وبالتالي لا يوفر ارتكازاً متساوياً للبناء(٦٢).

ان الشكل الاسطواني للأبراج الذي يؤلف ثلاثة ارباع الدائرة تقريبا هي لغرض دفاعي وهو زيادة في المناورة أثناء المراقبة والدفاع في حال التعرض لهجوم.

ويصل ارتفاع هذه الأبراج إلى (١٠م) (لوح٤) وتتميز بميزة أخرى وهي انها تتألف من طابقين كل طابق بهيئة غرفة صغيرة يأخذ شكلها قطر البرج، وسقف هذه الغرف بشكل قبو معقود بهيئة نصف الدائرة يرتفع عن الأرض بحدود (١م) (٦٣).

ويتم الدخول إلى هذه الغرف عن طريق مداخل متصلة بالقاعات في كل جانب من القلعة لكي تكون مؤمنة وغير مكشوفة ولا يمكن رؤية تحرك المدافعين من الخارج أو من أعلى السور.

ويكون الصعود إلى الطوابق العليا من الأبراج عن طريق سلالم حلزونية ملاصقة للجدران الداخلية للأبراج وهي بعرض ((١,٢٠م)) وارتفاع كل درجة بحدود (٣٠سم)، وهي ذات فائدتين الأولى هي ربط الطابقين حيث ينتقل الجند المدافعون بحرية وبسرية تامة دون ان يراهم الأعداء وهذا ما ظهر في قلاع مدن أخرى مثل قلعة الموصل لكن بشكل دهليز يربط الطابقين في الأبراج(٦٤).

أما الغرض الثاني فهو انشائي تمثل في تدعيم الأبراج من خلال شكلها الحلزوني الذي يلتف حول قطر البرج ويسند جدرانه كذلك بشكل مرتكزا قويا يبدأ من الأرض وينتهي بالسطح وبالتالي يعمل على توزيع وامتصاص الثقل الواقع على البرج المتمثل بثقل البناء والاشخاص الذين يصعدون على سطحه ولكون البرج من النوع المجوف وبارتفاع ليس بالقليل مما يكون عرضة للانهيار أو السقوط. وهذه ميزة انفردت بها قلعة المدينة، وهي مناسبة في استخدامها في عمائر أخرى خصوصا ذات المقطع الدائري، مثل المآذن حيث تأخذ شكل قطره كما في السلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحلزوني ومئذنة جامع النوري[٦٥]. كذلك في عمائر أخرى في ذات المدينة كما في سلالم السراديب والقيسارية المكتشفة، وذلك لمعالجة الحيز المحدود في البناء[٦٦].

ويعد ذلك تطورا في عمارة القلاع من حيث تحقيق الفائدتين الدفاعية والانشائية، بعد ان كانت تبنى السلالم من الخارج [٦٧]. وتكون مكشوفة ولا تحقق غرضا دفاعيا أو إنشائيا، إذ كما هو معروف ان جدران البناء يكون ميل ضغطها نحو الداخل من البناء المجوف فوجودها إلى الخارج لا تحقق هذا الغرض.

وتشابه غرف الطابق الثاني للأبراج الغرف السفلى من الطابق الأول في الشكل والقياس، ويضم سقف البرج ستارة سقطت في وقت ما في اغلب اجزاؤها، ويبدو انها كانت تضم مزاغل[٦٨]. بدليل بقاء قسم منها في البرج الشمالي. ووجود المزاغل شرط اساسي في عمارة الأبراج وكذلك الشرفات لتحقيق الغرض الدفاعي. وهو في ركن مهم في عمارة الاسوار أو القلاع الا وهي الأبراج.

وتنتشر في عمارة القلعة مزاغل متنوعة سقطت كلها ولم يبقى منها الا عدد قليل أو أجزاء بسبب التهدم لوقوعها في الأجزاء العليا من البناء الذي يكون أكثر تعرضا للهدم [٦٩].

وهي موزعة على ستارة القلعة والمسافة بين واحدة وأخرى بحدود (١، ٥م). أما الأبراج الأربعة فلا تضم جميعها مزاغل وإنما فقط اثنين منها وهما الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي وبلغت (١٠) مزاغل بقياس (٤٥×٨٠ سم) من الداخل وتضيق من الخارج لتصل إلى (١٥×٢٥ سم).

أما البرجين في الزاويتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية فقد خلت من المزاغل وربما لكون هذه الجهة مؤمنة نظرا للانحدار الشديد في الأرض في تلك النقطة ووجود وادي المر الذي يمثل عائقا طبيعيا فلم تكن ضرورة في توفير مزاغل لهذه الجهة [٧٠].

وقسم منها موزعة على ستارة القلعة وهي ذات فتحات مستطيلة بقياس (٢٠×٣٠سم) والمسافة بين واحدة وأخرى بحدود (١، ٥م).

ان الشكل العام للمزاغل بان تكون واسعة من الداخل لتسهل حركة تصويب المدافعين الرماة وحركة المراقبة منها بسهولة أكثر، أما من الخارج، فتكون ضيقة وذلك ليكون المدافعين في مأمن من الضربات التي تأتي من الخارج وكذلك يكون تركيز الرؤيا محدود للذي ينظر من الخارج إلى الداخل وبالتالي لا يستطيع تحديد حركة المدافعين وتواجدهم خلف المزاغل وهذا التصميم بالنسبة للمزاغل العمودية هو شائع في اغلب التحصينات نظرا لما تقتضيه الحاجة من استخدام أنواع معينة من الأسلحة التقليدية المتمثلة بالأقواس والنشاب مثلا[٧١].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فظهرت في تحصينات المدن ابراج ضمن الاسوار الخارجية وأخرى ضمن القلاع وهي لا تكاد تختلف في التصميم والشكل.

وتشارك هذه العناصر الأخرى في وظيفتها التي تتمثل بالدفاعية، إذ تستخدم منصاتها العليا إطلاق النار على المهاجمين أو مراقبة مشارف الحصن [٧٢].

أما الوظيفة الثانية وهي أساسية وتكاد توازي وتشارك وظيفتها الدفاعية فهي تعمل على إسناد وتدعيم البناء فلا يكاد يخلو سور أو جدار ممتد منها وعلى مسافات متساوية، وثالثا وظيفتها الجمالية فقد أصبح وجودها من المكملات الأساسية في العمائر المدنية والدينية بفضل ما تضفيه على مظهر تلك البنايات من بهاء وحسن التناسب [٧٣].

واستمرت بالظهور حتى برزت أكثر وضوحا في اسوار مدينة نينوى وهي ذات الشكل المربع وبنيت بالحجر المهندم وتعلوها شرفات مسننة [٧٤].

أما المزاغل التي في اعلى الأبراج فهي من نوع نصف الدائرية وهي كذلك واسعة من الداخل وتضيق من الخارج ويصل قطرها إلى (١٥سم)، وربما أستخدم هذا الشكل في هذا المكان من البناء لكونه مؤمن من حيث الارتفاع وليسهل رمي والمراقبة أكثر حيث من الصعوبة نيل المهاجمين منه مهما استخدموا من اسلحة تقليدية لكونه أكثر ارتفاعا وهذا الشكل يهيئ مراقبة أكثر في كشف حركة المهاجمين وهو ما ظهر في قلاع أخرى مماثلة من حيث الموقع والارتفاع كما في قلعة الموصل في العصر العثماني [٧٥]. ويبدو ان هذا النوع لم يظهر قبل العصر العثماني، لكونه صمم لنوع خاص من الأسلحة عدا وظائفه التي ذكرناها، وهي البنادق بالنسبة للمزاغل الصغيرة والمدفعية بالنسبة للكبيرة منها، والتي غالبا ما تتوزع على أركان القلعة وخاصة فوق الأبراج، وهذه الأسلحة ظهر استخدامها باعتبارها متطورة وركيزة أساسية في القتال.

ان فكرة إقامة المزاغل في اعلى الأسوار والابراج هي ليست بالجديدة عن العمارة العراقية وانها ظهرت في مدن قديمة وما كشف عنه يظهر جليا في العمارة الأشورية، إذ زودت الأبراج بهذا النوع من العناصر الدفاعية [٧٦]. وفي العمارة الإسلامية كان لها حضوراً مميزاً في اسوار المدن والمباني المختلفة من عسكرية كالقلاع وخدمية مثل الخانات وغير ذلك.

- الوحدات الملحقة بالقلعة

تحيط بالفناء الذي يتوسط البناء عدة وحدات تتوزع على اضلاعه الأربعة وهي تمثل الأقسام الأخرى الرئيسة في البناء (لوح٣)، والملاحظ أنها ليست كباقي الابنية الأخرى فهي لا تنفتح على الفناء بشكل مباشر بل انها تتمثل بخصوصية كونها تتصل ببعضها بمدخل. وينفتح قسم قليل منها مباشرة على الصحن، وذلك لأسباب امنية ودفاعية أولا، وكذلك لأسباب تتعلق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بمعالجة مناخية، كون البناء في منطقة مرتفعة وقريبة من النهر والتي غالبا ما يسودها جو يتسم بالبرودة في فصل الشتاء، فان عدم انفتاح المداخل بشكل مباشر على الفناء يساعد على الاحتفاظ بدرجات الحرارة الممكنة داخل البناء. وهذه الوحدات بهيأة أواوين تطل على الفناء تتوجها عقود مدببة (ذات مراكز أربعة)، لغايات إنشائية، لتوزيع الثقل الناتج من سقف الأجنحة، كذلك لمعالجة مناخية، وهي توفير فضاء أوسع [٧٧]، وهذه الفكرة شائعة في العمارة الاسلامية لمعالجات مناخية[٧٨].

- الضلع الشمالي

ويتوسطه المدخل الذي أسلفنا الذكر عنه، وهذا الضلع يضم عدد من الوحدات بهيئة غرف أو قاعات تتوزع على جانبي المدخل بالتناظر، وهي متشابهة في التصميم والشكل ومتساوية في القياس، فالقاعتين اللتين على جانبي المدخل متناظرتين وينفتح في كل منهما مدخل صغير قريب من نهاية الممر، سعة فتحته (٧٥سم) يتوجه عقد منبطح يتألف من قطعة واحدة من المرمر، ويؤدي هذا المجاز إلى بقية الوحدات من الضلع الشرقي أما القاعتان الباقيتان فيقع مدخليهما في منتصف جداريهما الغربي وبذات السعة أي (٣,٦٠م) ويتوج هذه المداخل عقود مدببة، وذلك لرفع السقف لهذه القاعات ولتحقيق فضاءات أوسع طالما ان المدخل الرئيسي مؤمن من حيث الارتفاع وكذلك لتحقيق معالجة مناخية من خلال تصميمه ووجود المجاز[٧٩].

أما سقوف هذه الغرف فهي أقبية منخفضة، عقدت بحجارة غير منتظمة مع الجص.

وتمثل الزاوية الشمالية الشرقية غرفة مستطيلة بقياس (٥,٨٠ × ٣,٨٠م) وتتصل زاويتها الشمالية بالبرج بواسطة مدخل سعة فتحته (١م)، أما المدخل الثاني لهذه الغرفة المنزوية فيقع في جدارها الجنوبي في جهة الغرب، سعة فتحته (٧٥سم) ويتصل بالقسم الشرقي، أما سقفها فهو بشكل نصف اسطواني وهو أكثر ارتفاعا من بقية سقوف الغرف أو القاعات في هذا الضلع، وكذلك بقية الزوايا من القلعة تضم غرفا بنفس التصميم، حيث تمثل قاعدة الأبراج وهذا التصميم يخدم غرضين الأول امني دفاعي والمتمثل بتوفير خصوصية امينة للأبراج التي يمكن التحصن فيها في حالة وجود خطر داخل القلعة أو محيطها وذلك عن طريق سد هذه الأبواب الضيقة من الغرف[٨٠].

والثاني انشائي، حيث ان وجود هذه الغرف يساعد في تدعيم زوايا البناء من خلال تعدد الجدران المتصلة بالبناء وخصوصا في نقاط الزوايا التي تكون مركز ثقل البناء، وما تشكله الأبراج من ثقل على تلك النقاط نتيجة لوزن المواد البنائية من حجارة وجص وما تحويه تلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الابراج من مدافعين أو آلات حربية أحياناً مثل المنجنيق أو المدافع الثقيلة في الفترات المتأخرة وما تشكله من ثقل على تلك النقاط[٨١].

- الضلع الغربي:

وتنفتح إلى هذا الجناح الغرفة المنزوية بمدخل في زاويتها الشرقية في جدارها الجنوبي، سعة فتحته (٧٥سم) تتبعها خمس غرف أو قاعات متساوية في القياس.

وتنفتح هذه الغرف على بعضها بمداخل تتوسط جدرانها الجنوبية بسعة (٧٠ سم) باستثناء الغرفة الأخيرة فأنها تضم فقط مدخل واحد في جدارها الشمالي، وتلاصقها قاعة مستطيلة تضم مدخل واحد يتوسط جدارها الجنوبي ويؤدي إلى الغرفة المنزوية الجنوبية الغربية، والملاحظ على الغرفتين الأولى والثانية انهما تضمان مدخلا في زاويتهما الشمالية الشرقية ينفتحان على الفناء بسعة (٧٥ سم) وهما المدخلان الوحيدان في هذا القسم اللذان ينفتحان على الفناء[٨٢].

- الضلع الجنوبي:

وهو يختلف عن باقي الاجنحة لكونه يتوسطه ايوان ينفتح على الفناء ويتوج هذا الإيوان عقد مدبب، فضلاً عن بعض الغرف المتصلة مع بعضها بمداخل. ومما يؤسف له لم يبقَ منها شيء في الوقت الحاضر[٨٣]، وهو ما لاحظناه عند زيارتنا للموقع.

وقد اتخذ هذا القسم كمربط للحيوانات المستخدمة من قبل الجند وأصحاب البريد منها الخيول، بدليل وجود المعالف، إذ وجد في كل غرفة معلفان تفصل بينهما نافذة بقياس (٦٠×٩٠سم) تنفتح على الفناء، ووجود هذه النوافذ وكذلك الايوان المرتفع الذي يكون بمثابة ظل ولزيادة التهوية في هذا الجناح وذلك لإبعاد الروائح التي قد تنتج عن فضلات الحيوانات، كذلك اختيار هذه النقطة من البناء الذي يكون معرضا للشمس وخصوصا في فصل الشتاء وذلك لإيجاد بيئة مناسبة لإيواء الحيوانات والتي لا تلائمها الأماكن الرطبة بسبب مخلفاتها وما ينتج عنها من روائح وانتشار الأمراض التي تؤثر على الحيوانات نفسها وكذلك تسبب الضرر على الأشخاص الساكنين[٨٤].

وهذه المعالف هي ليست مضافة وإنما من أصل البناء وهي على شكل حنية صماء يعلوها عقد نصف دائري وترتفع عن الأرضية بحدود (١م)[٨٥]. وفي جانب هذه المعالف هنالك أماكن لربط الحيوانات.

ويضم هذا القسم في جداره من الخارج على ميازيب[٨٦]. لتصريف المياه وهي في سمك الجدار، ووجودها ذو أهمية وذلك لتجميع المياه المنسابة من سطح البناء وتصريفها إلى مسافة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من اجل أبعادها عن الجدران ابتداءً من أسفل هذه الميازيب من الجدران وحتى الأسس وهي لمعالجة مناخية من اجل تقليل تأثير المياه والرطوبة على الجدار واسس البناء بشكل عام.

ويبدو انه عمد المعمار إلى جعل سقف البناء يميل إلى هذه النقطة من اجل انسيابية مياه الامطار او المياه التي تتجمع نتيجة الرطوبة العالية، ولكون هذه النقطة وكما ذكرنا من البناء تكون معرضة للشمس في معظم الاوقات خصوصا في موسم الشتاء حيث تساعد اشعة الشمس كذلك على التخلص من الرطوبة المنسابة على السقف والجدران في تلك النقطة.

- الضلع الشرقي

ويشابه هذا القسم ما يقابله وهو الغربي، وهو متداعي في الوقت الحاضر لكونه أكثر عرضة للتلف والهدم من بقية الاقسام وذلك لكون ارضه أكثر رخاوة من بقية النقاط بسبب الرطوبة وسيول الامطار التي تتجه نحو هذا الجزء، نتيجة لانحدار الأرض وزيادة في الرطوبة في هذه الجهة القريبة والمقابلة للنهر، كذلك كون البناء في هذه الجهة القريبة والمقابلة للنهر، كذلك كون البناء مشيد بالحجارة والجص وبما ان مادة الجص تتأثر بشكل كبير وسريع بالرطوبة فضلاً عن ثقل المادة البنائية المتمثلة بالحجارة(٨٧).

كذلك هذا الجزء اقل استناداً من بقية من حيث الجدران الساندة المتمثلة بالغرف فضلاً عن انه يمتد لمسافة، إذ ان الضلع الاطول في المستطيل عند هذا الجزء أدى إلى ضعفه من البناء وسقوطه وتضرره أكثر من بقية الأقسام(٨٨).

ان الحاق القلاع بعدد من الوحدات البنائية من غرف وقاعات أمراً ضرورياً نابعاً من الحاجة إلى استخدامها من قبل ساكنيها سواء كانوا من الولاة والجند والحرس، وتختلف هذه الوحدات في التصميم والبناء حسب مكانة ساكنيها والظروف السياسية والعسكرية ومكانة المدينة من حيث مركزها الإداري والاقتصادي المتمثل بالرخاء أو الكساد خلال تاريخ المدينة أو الموقع. ان البناء الحالي يرجح تاريخ إنشائه إلى قرنين أو ثلاث(٨٩). وهذا الترجيح جاء بالتأكيد استناداً إلى طراز البناء الذي شاع في تلك الفترة في تحصينات مدن أخرى من حيث الشكل والتخطيط والعناصر كما في قلعة الموصل (٩٠). لكن هنالك خصوصية في قلعة بلد، هي أن نمط تخطيطها وطراز بناءها وخاصة فيما يخص الأبراج في أركانها الأربعة والتي يؤلف قطرها ثلاثة أرباع الدائرة وهو ما شاع في حصون وقلاع القرن الثاني للهجرة كما أسلفنا.

لكن اغلب القلاع عموماً ومنها قلعة الموصل خصوصاً انشأت على أسس قلاع أخرى أقدم عهدا وقد مرت بأدوار معمارية مختلفة متأثرة بالأوضاع السياسية وفترات الحكم والاضطرابات وتعاقب الولاة كما تذكر الروايات التاريخية(٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبدو أن قلعة مدينة بلد قد حظيت بنفس الظروف في التجديد لكن لم تحظى بذكر الروايات التاريخية.

وكان ذلك التجديد ضروريا لأسباب عديدة منها حماية الوالي وأتباعه وجنده من الأخطار الخارجية والداخلية، فضلا عن اتخاذها معقلا للخصوم السياسيين الذين يخشون جانبهم أي أصحاب النفوذ، خوفا من الفتنة [٩٢].

وربما اتخذ في وقت ما قبل تشييد البناء الحالي مقرا للولاة أو دار ضيافة على غرار ما وجد في مدينة الموصل والمتمثلة بموقع دور المملكة (قره سراي)، فقد أشارت الروايات التاريخية ان العديد من الخلفاء والامراء اتخذوا من مدينة بلد محطة استراحة واستجمام لهم[٩٣]. لطيب هوائها وجمالية طبيعتها فمن المرجح ان سكنهم كان داخل القلعة لكون هذه الصفات تنطبق على ذلك الموقع فضلاً عن انه يعد مكانا محصنا.

وكما هو معلوم ان مدينة بلد قد زامنت تمصير مدينة الموصل أو بعدها بقليل ربما عام أو عامين حسبما تذكر الروايات أيام الفتح [٩٤]. فلا بد من انها شهدت تشييد قلعتها في نفس التاريخ والملاحظ تشابه الموقعين من الناحية الطبوغرافية من حيث التضاريس والاطلالة على نهر دجلة فان هذا الموقع انسب المواقع لبناء مهم يستغله الوالي.

ولأهمية المدينة السياسية والاقتصادية ولما كان لها من مكانة في الحواضر المحيطة بها وبمدن الجزيرة العديدة فربما اتخذت مكانا لضرب النقود منذ العصر العباسي الأول[٩٥]. حيث عثر على نقود تحمل اسم المدينة، منها فلس نحاسي يحمل اسم المدينة وسنة الضرب وهي (١٥٥هـ/ ٧٧١م) [٩٦]. واسم والي المدينة الأمير موسى بن مصعب الخثعمي[٩٧].

والأمر الذي يقود إلى هذا الاعتقاد هو أن القلاع من المؤسسات المحصنة وهي بذلك تكون في مأمن أكثر من الأخطار الخارجية أو الداخلية. وبذلك كان لهذه الأبنية دور مهم في الجانب الاقتصادي الذي أنعكس على الجانب السياسي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

يتضح مما تقدم ان معمار مدينة بلد تنبه لما يحيط بالمدينة من مخاطر، واستطاع تسخير كل ذلك من عناصر طبيعية وتضاريس، كارتفاع الموقع في بعض النقاط ووجود نهر دجلة ووادي المر ومصادر المياه الأخرى مثل الكهاريز، فضلاً عن صلابة الأرض وتوفر المواد مثل أنواع الحجارة.

كذلك عمل على تقريب شكل تخطيط المدينة إلى الدائري لإدراكه ما لهذا التخطيط من مزايا دفاعية وامنية فضلا عن الأمور الأخرى من تنظيمية واجتماعية واقتصادية، لكنه لم يجعلها بالشكل الدائري الهندسي مئة بالمئة، وذلك للصعوبات في ذلك مثل اختلاف التضاريس، وعدم توفر الوسائل الدقيقة في القياس، لكنها تحقق الهدف بالدرجة الممكنة.

ويبدو ان طبيعة المدينة التي توصف بالطابع التجاري والمهني وما انعكس ذلك في رخاء اقتصادي وثراء قياسا ببقية المدن والبلدات المجاورة، كل ذلك تحتم عليها الاهتمام بتحصين حدودها واحكامها وذلك لرد الاخطار المحيطة بها، وكذلك لكون اهلها بعيدين نوعا ما عن الجانب العسكري والتسليح لانشغالهم بالحرف والتجارة ومما دعا أيضا إلى هذا الاهتمام هو ما يتعلق بالطبيعة الطبوغرافية للمنطقة كونها مفتوحة كباقي اجزاء العراق وخاصة في الجهتين الجنوبية والغربية من المدينة، مما هيأ لها ان تكون محطاً للأطماع الخارجية.

وعلى الرغم من ذلك فقد حظيت المدينة بشكل مقوماتها التحصين بالنسبة للموقع من ارتفاع ومحاذاة لنهر دجلة الذي يمر بطرفه الشرقي ووادي المرْ من الشمال والاستفادة من هذه الظواهر الطبيعية، وكباقي المدن المحصنة زودت بمجموعة من العناصر منها الخندق حول المدينة من الجنوب والغرب أما الشمالية والشرقية فقد استعين عنها بموجود وادي المر ونهر دجلة.

ويتزود هذا الخندق بمياهه من مصدرين رئيسين هما وادي المر وكذلك العيون القريبة التي تصل إليه عن طريق القنوات الجوفية والتي تعرف بالكهاريز، ان استغلال المياه من تلك الجهتين وعدم الاعتماد على النهر لكون تلك الجهتين أكثر ارتفاعا من الأرض المحيطة بالخندق مما يسهل عملية انسياب المياه اليه دون واسطة.

كذلك زودت بسور وهو الخط الدفاعي الرئيسي الذي يتميز بتجهيزه بمنظومة دفاعية تتألف من الأبراج وعدد من الوحدات التي تؤدي في نفس الوقت دورا انشائيا وخدميا مثل الدخلات والغرف أو القاعات ووجود لهذه الوحدات هي ميزة انفردت بها مدينة بلد وتميزت بها عن تحصينات باقي المدن وخصوصا ما يتعلق بوجود الدخلات، أما الغرف أو القاعات فضلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن وظيفتها الدفاعية كونها ملجأ للأشخاص القاطنين داخل القلعة للاحتماء،(سواء أكانوا من أصحاب النفوذ والإدارة أو الحراس). وفي نفس الوقت للسكن والراحة، وناحية انشائية في تدعيم السور أو القلعة.

كذلك ضمت تحصينات المدينة على قلعة متكاملة من العناصر الدفاعية مثل الأبراج التي تتوزع على اركانها الأربعة وهي ضخمة وتتميز بكونها اقطارها تؤلف ثلاثة ارباع الدائرة ويصل قطرها إلى (٧ م) وضمت هذه الأبراج على غرف تشمل طابقين يوصل بينهما بسلالم تمتاز بكونها من النوع الحلزوني والذي يلتف مع مقطعها ، فهو حقق غرضين :الأول وظيفة بنائية للصعود والنزول من الطابق الأول إلى الثاني، والغرض الثاني هو إنشائي حيث يعمل على تدعيم جدران الأبراج وكذلك من الأهداف المنشودة في توفر عوائق طبيعية أو ما أضافه المعمار قد حققت الغايات والأهداف المنشودة في التحصين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملاحق

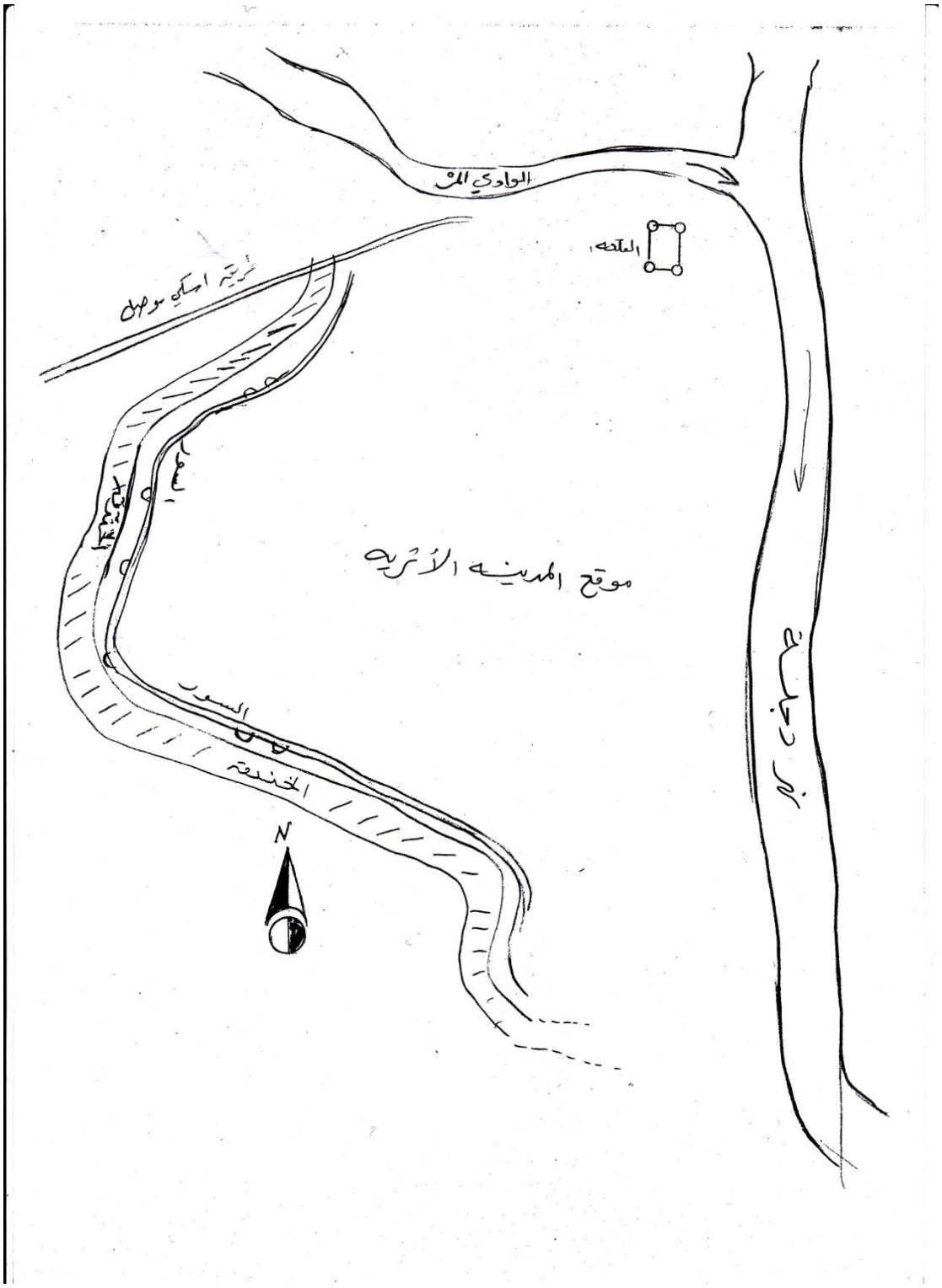

خارطة المدينة (السور والخندق)

تخطيط الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

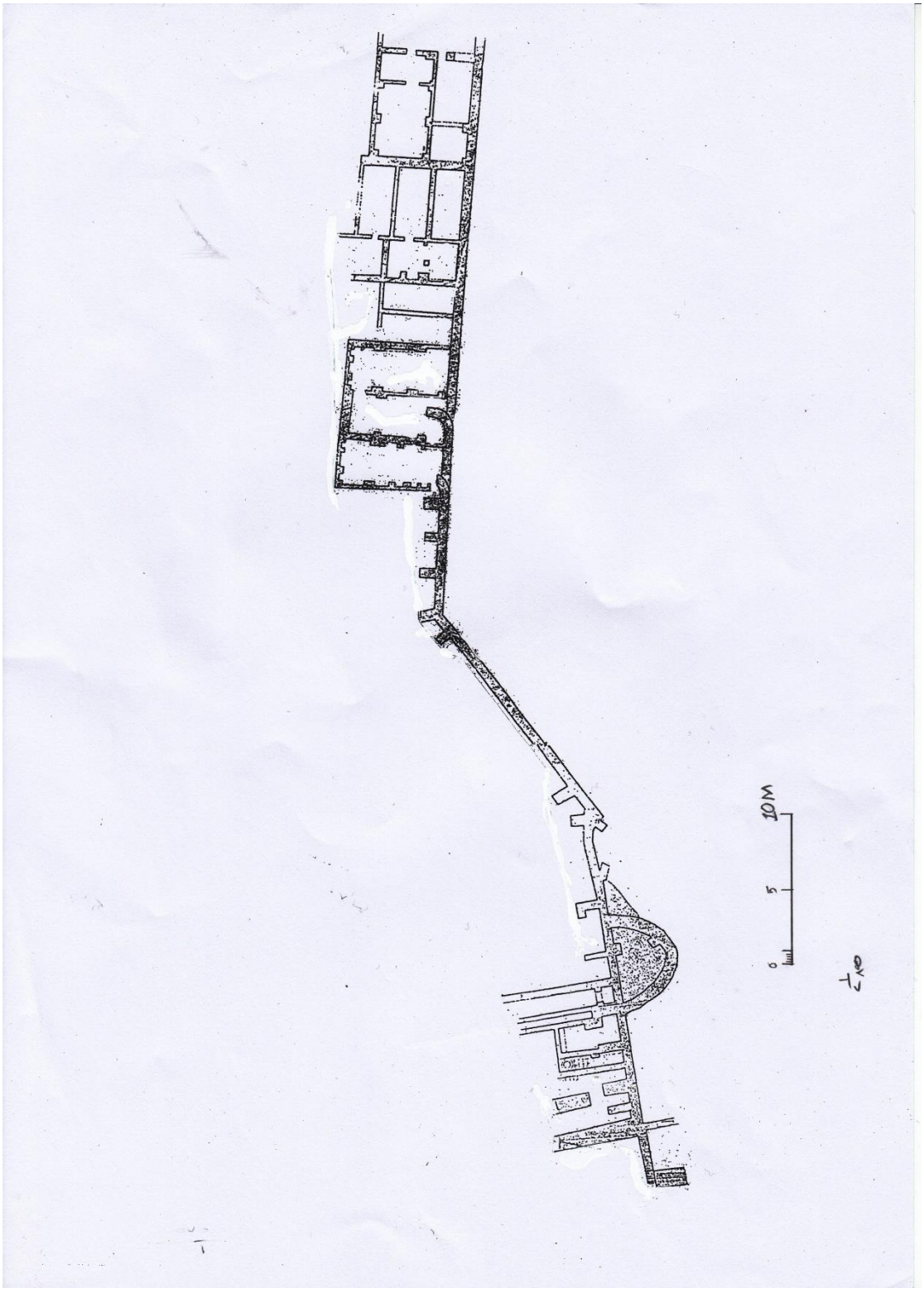

مخطط (١)

السور الشمالي، عن التقرير ١٩٩٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

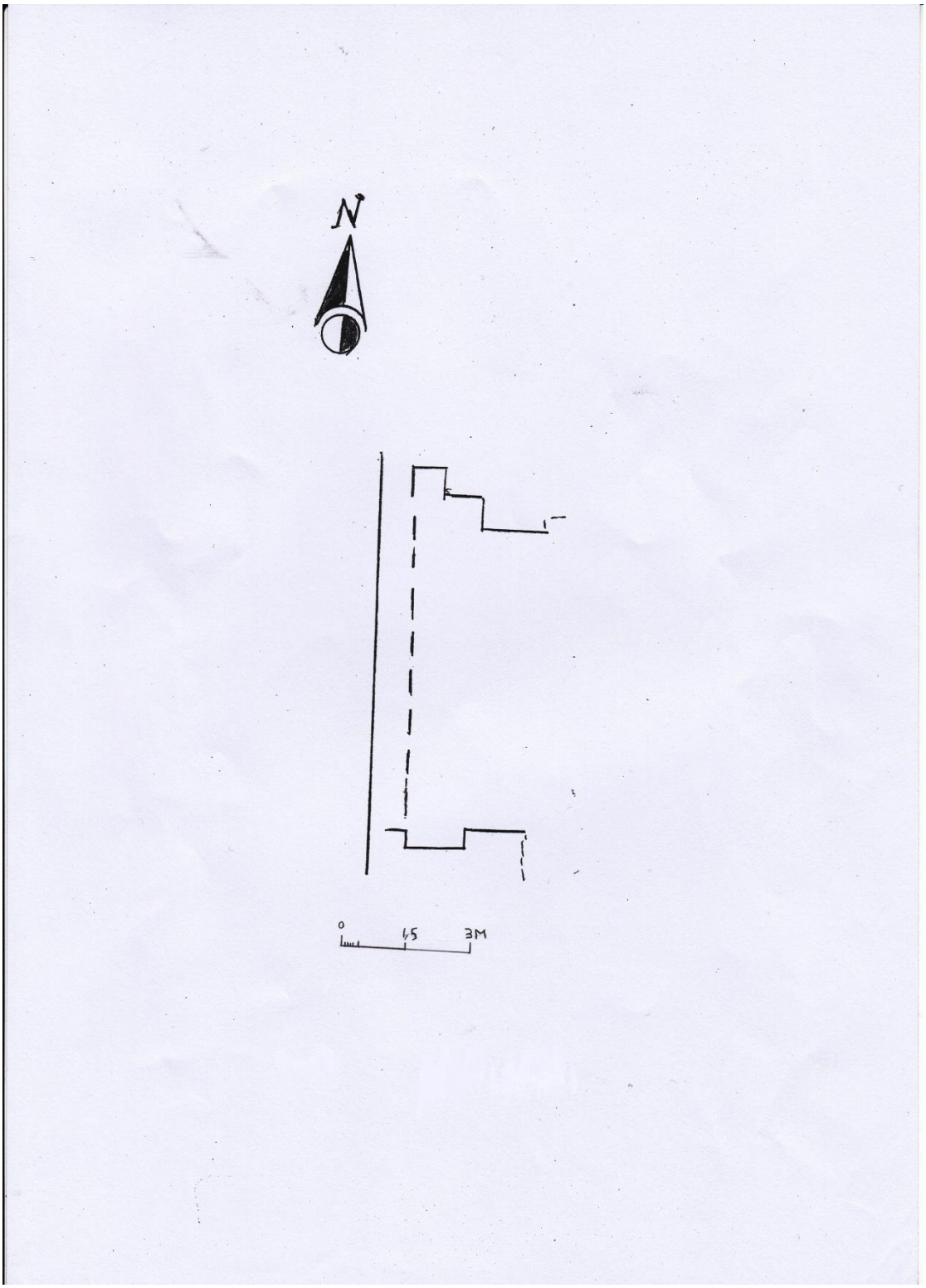

مخطط (٢)

البوابة الغربية، تخطيط الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

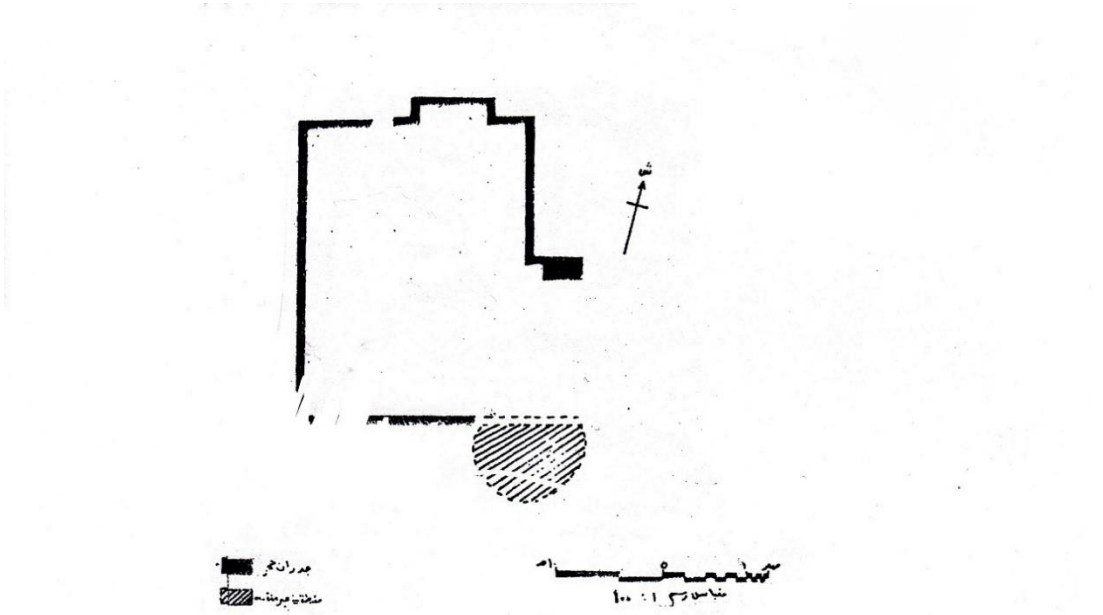

مخطط (٣)

البوابة الجنوبية، عن (شاكر، برهان، المصدر السابق).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

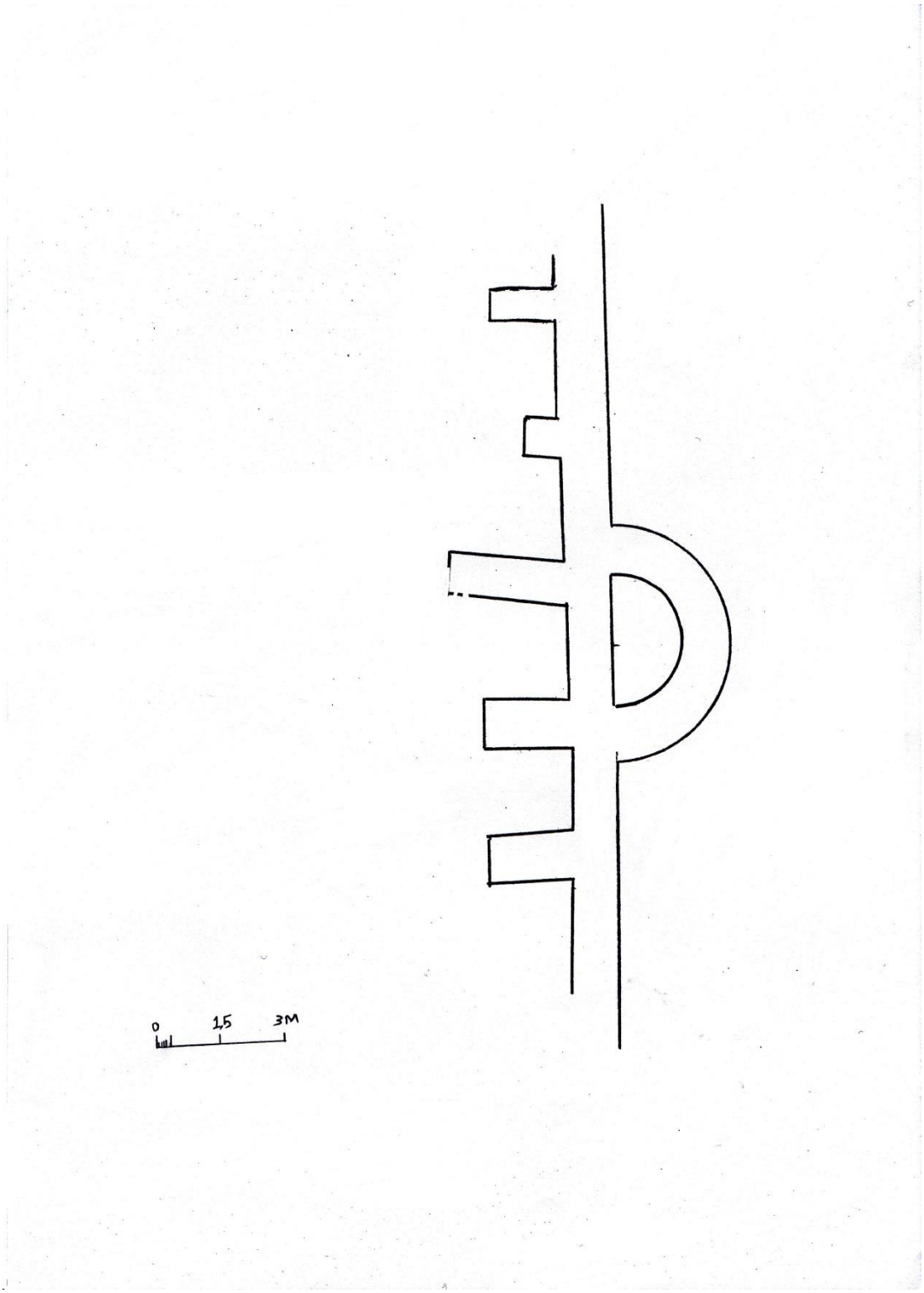

مخطط (٤)

البرج الغربي الأيمن، تخطيط الباحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

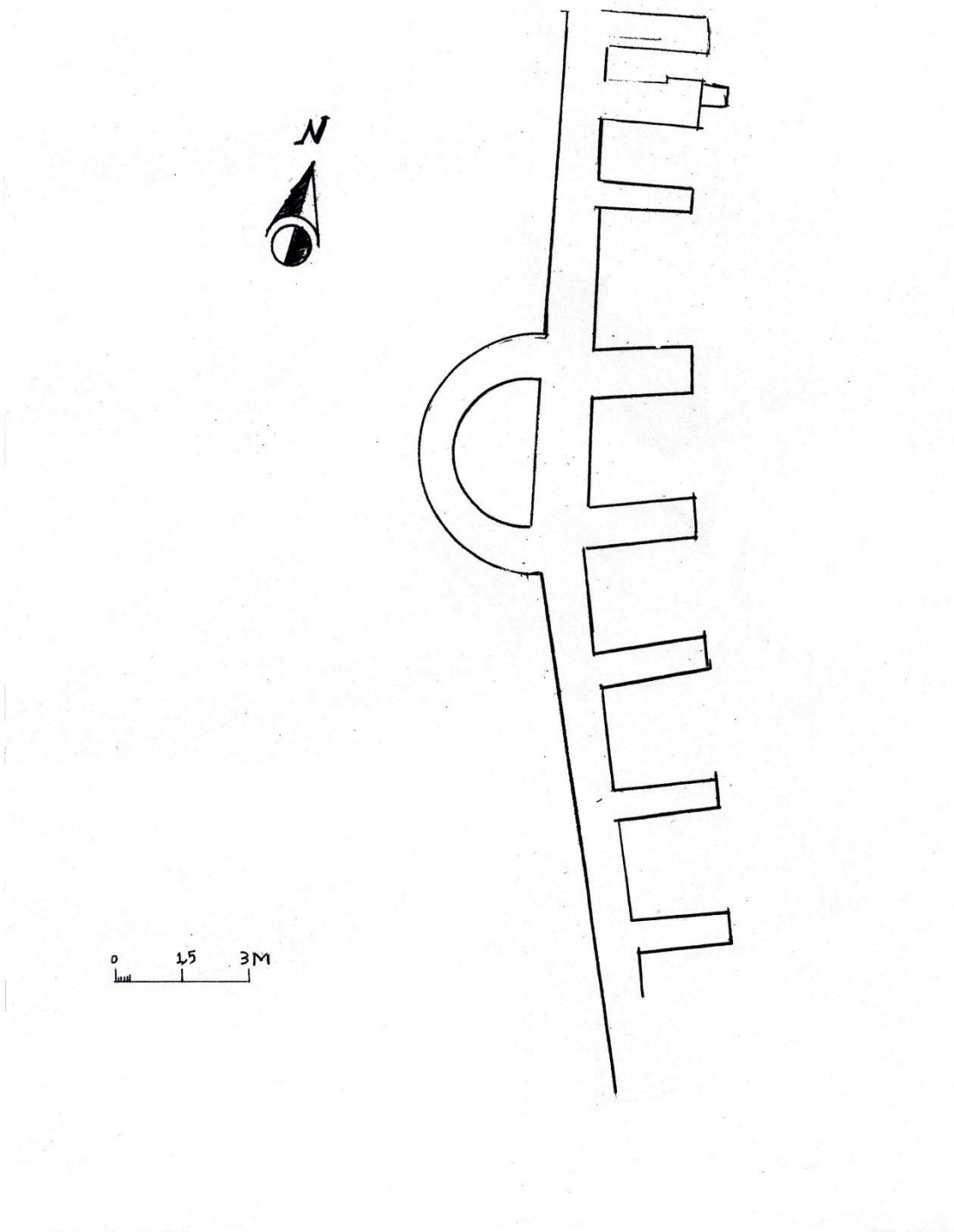

مخطط (٥)

البرج الجنوبي الأيسر، تخطيط الباحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

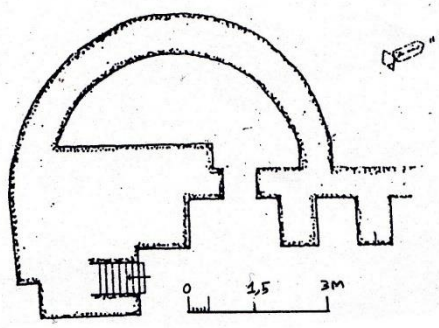

مخطط (٦)

البرج الشمالي الغربي، عن (التقرير ١٩٩٠).

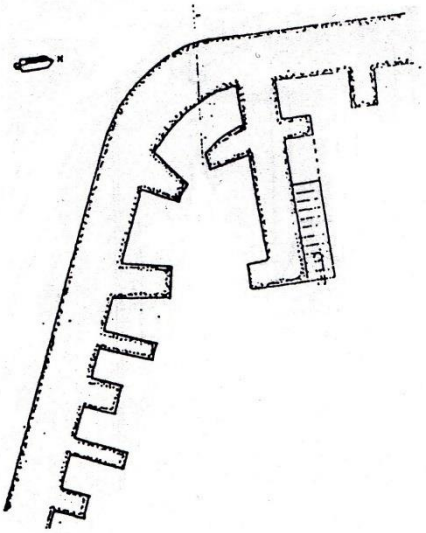

مخطط (٧)

البرج المضلع والطلعات، عن (التقرير ١٩٩٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

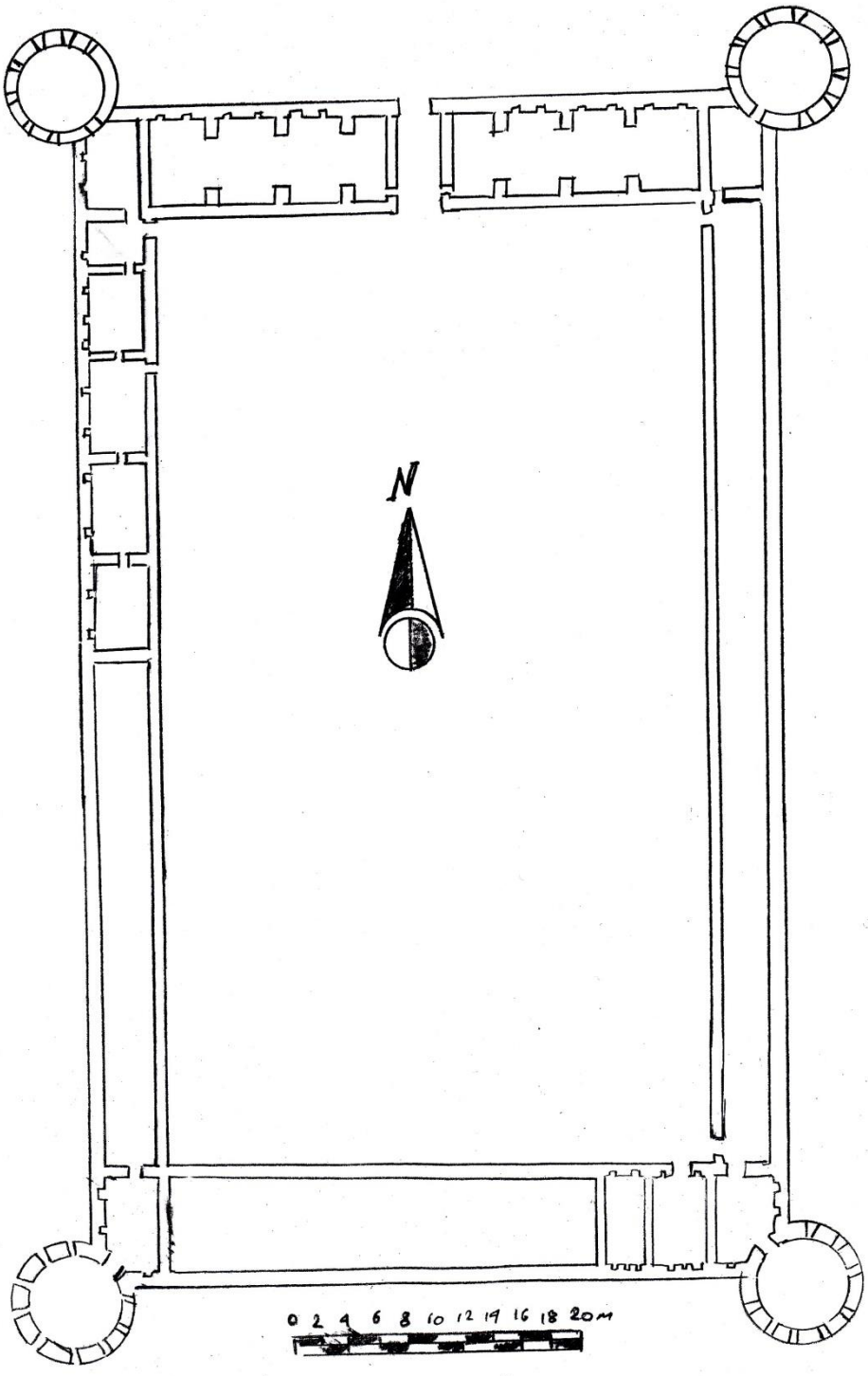

مخطط (٨)

القلعة، عن (الدراجي، المصدر السابق).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللوح (٢)

الخندق وجانب من السور الجنوبي،

تصوير الباحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

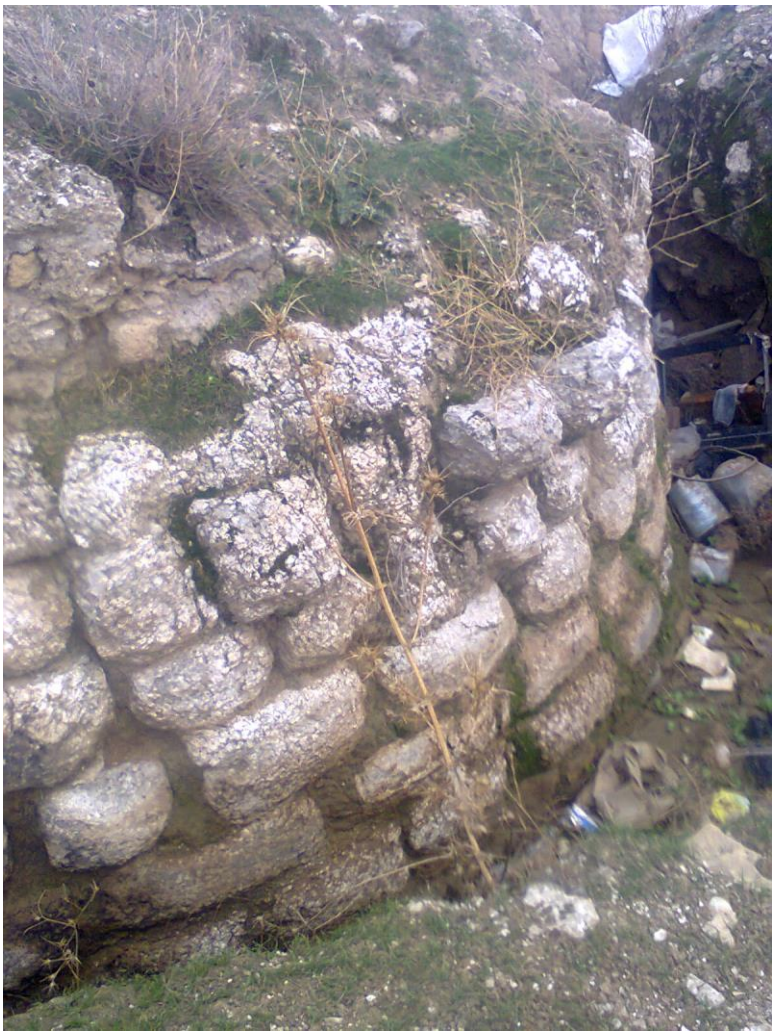

اللوح (٣)

البرج الجنوبي الايمن، تصوير الباحث.

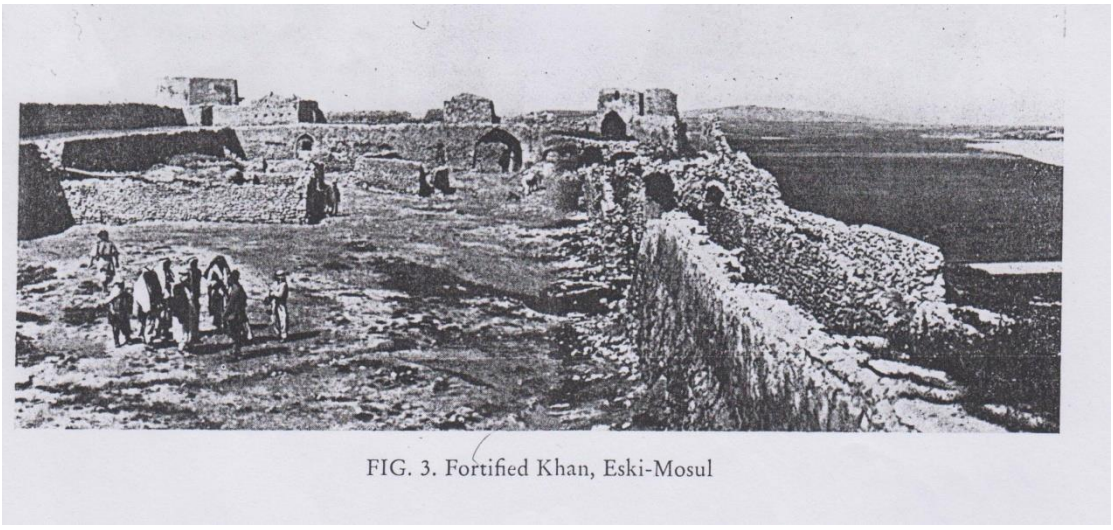

FIG. 3. Fortified Khan, Eski-Mosul

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللوح (٥)

البرج الشمالي الشرقي للقلعة، تصوير الباحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

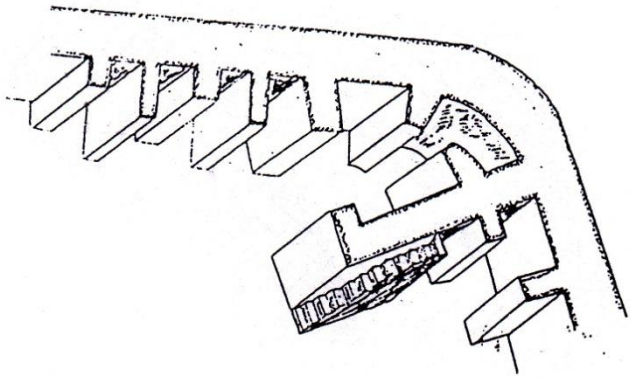

الشكل (١)

البرج المضلع والطلعات، عن (التقرير ١٩٩٠).

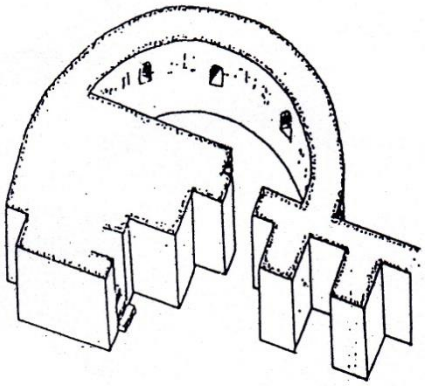

الشكل (٢)

البرج الشمالي، عن (التقرير ١٩٩٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(1) LukenbiLL, D: The annals of senna chrib, Chicago, VOL. 2. 1924. p. 1-8.
(2) The Chicago Assyrian Dictionary (CAD), Chicago, 1956. B, O 46, K, p. 40-62.

(٣) الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٧، ج١، ص٣٧٩.

(٤) البكري، ابو عبيد الله بن عبد العزيز الاندلسي، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥، ج١، ص٢٧٣.

(٥) المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط١، ابريل، ليدين، ١٩٠٩، ص١٣٧.

(٦) سليمان، عامر، والفتيان، احمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٧٨، ص٣٥-٣٦.

(٧) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، ١٩٨٨، ص٩٦.

(٨) الاعظمي، محمد طه، من المظاهر الحضارية العراقية القديمة اختيار الموضع المستحكم طبيعيا، ضمن وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠١، ص١٩٢.

(٩) المصدر نفسه، ص١٩٣.

(١٠) العميد، طاهر مظفر، الاستعدادات العسكرية في المدن العربية قبل الإسلام، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، ع (١٠)، ١٩٨٤، ص٤٦٦. الجمعة، احمد قاسم، الاستعدادات العسكرية والاستحكامات الدفاعية وأثرها في إفشال حملة نادر شاه على الموصل عام ١١٥٦ هـ/١٧٤٣م، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، بغداد، ع (٤)، ١٩٨٨، ص٨٢-٨٣.

(١١) بولاديان، فيليب اوديس سيمون، اصالة أنظمة الحركة في المدن العربية التقليدية، الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص٥٧.

(١٢) الجمعة، احمد قاسم، المظاهر الدفاعية والأمنية في تخطيط مدينة الموصل ومبانيها في العصور الإسلامية، ضمن بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة

بغداد، ج (١)، مطبعة الرشاد، ١٩٨٩، ص٣٠٨.

(١٣) رؤوف، عماد عبد السلام، الحياة الاجتماعية في العراق في عهد المماليك، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص٥٠.

(١٤) السماك، أزهر محمد، وآخرون، استخدامات الأرض بين النظرية والتطبيق، (دراسة تطبيقية عن مدينة الموصل الكبرى حتى عام ٢٠٠٠)، وزارة التعليم العالي، جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(١٥) أشارت المصادر التاريخية إلى عبور جيوش كثيرة من هذا المكان مثل جيش الاسكندر المقدوني سنة (٣٣٤ – ٣٢١ ق. م)، عندما كان في طريقه إلى اربايلو (اربيل) لملاقاة الملك الفارسي دارا الثالث، أغا، عبد الله أمين، بلد تاريخها وأثارها، وزارة الإعلام ، مطابع الجمهور، موصل، ١٩٧٤، ص٤٥.

وفي نهاية العصر الأموي (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) عبر من هذا المكان أخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد (١٢٧ – ١٣٢هـ/ ٧٤٤ – ٧٤٩م) بعد هزيمته في معركة الزاب، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، ج(٥)، بيروت، ١٩٦٦، ص٤٢٤؛ الازدي، الشيخ أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي حبيبة، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٣٣.

وكذلك عبر منه الملبد الخارجي لمقاتلة خازم بن خزيمة الذي ارسله المنصور، على رأس جيش لقتاله وذلك عام ثمان وثلاثين ومائة، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ج (٩)، المطبعة الحسينية، مصر، ١٣٢٦ هـ، ص١٧٠.

وكذلك معز الدولة أثناء حربه مع ناصر الدولة سنة (٣٥٣ هـ)، أغا، المصدر السابق، ص٤٥، نقلاً عن، مسكويه، أبو علي احمد بن محمد، تجارب الأمم، ج (٢)، التمدن الصناعية، مصر، ١٩١٥، ص٢٠٦، وكذلك جيوش الحمدانيين وحلفاؤهم العقيليين لمحاربة صاحب ديار بكر وغيرهم، ابن الأثير، المصدر السابق، ج (٩)، ص٧١، ٣٥٣،ج (١٠)، ص٢٣٤، ج (١١)، ص٣٦٣، ابن العبري، غيريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثولوجية، بيروت، ١٨٩٠م، ص٣٧٣.

(١٦) وادي المرْ: ويسمى هكذا في الوقت الحاضر، ويعرف في المصادر التاريخية – بنهر ايوب – ويأتي من منطقة ابي ماريا الاثرية وهي قرية كبيرة تقع قرب الطريق بين بلد وتلعفر، ينظر: اغا، المصدر السابق، ص١٧.

(17) Ritlinger , G. Medival antiquities west of mosul, Iraq, vol, v. 1938, p. 147.

(١٨) الكهاريز: (مفرده كهريز): كلمة فارسية وتعني مجرى تحت الأرض أو ابار يفتح بعضها على بعض بأقنية تحت الأرض فتتجمع مياهها وتخرج على وجه الأرض، الجلبي، داؤد، مصطلحات فارسية مستعملة في عامية الموصل وفي انحاء العراق، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٠، ص١٦٩.

(١٩) ابو ماريا: هي قرية صغيرة تقع في منطقة الجزيرة، تبعد عن الموصل خمسين كيلو متراً غرباً كانت في السابق قلعة اشورية، ومن ثم رومانية وبعدها اسلامية، حول ذلك، ينظر: رشيد، قحطان صالح، الكشاف الاثري، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨٧، ص٦١

(٢٠) اغا، المصدر السابق، ص١٠١

(٢١) قام الأشوريين مشاريع ري عديدة ، منها في منطقة حرير شمال العراق قرب مضيق بخمة، وفي منطقة الكوير على الزاب الكبير في منطقة اربيل ، ولعل أبرز أعمالهم كانت تجميع المياه ونقلها في نواظم (كهاريز) لإرواء مدينة اربيل، وفعلوا مثل ذلك في منطقة نينوى وتشاهد اليوم اثار السد الحجري الضخم على نهر الكومل (احد روافد الزاب الكبير) لحجز مياه النهر وتحويلها إلى قناة سنحاريب عبر منظومة حجرية ضخمة وتوجيه المياه إلى نهر الخوصر ثم إلى نينوى ومن أهم اثار هذا العمل هو عبارة المياه قرب قرية جروانة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتي انشأت لتعبر المياه فوق واد كبير يعترض طريق القناة، فضلا عن بعض العبارات والسدود الصغيرة الأخرى على طول مجرى القناة، وغيرها من المشاريع الأخرى، خروفة، نجيب، الموارد المائية وأثرها في وحدة الحضارة في العراق، وقائع ندوة حضارة بلاد الرافدين، المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠١، ص٤٥، أغا، المصدر السابق، ص١٠٣.

(٢٢) رؤوف ، عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص٣٦٩

(٢٣) الجمعة ، الاستعدادات العسكرية، المصدر السابق، ص٨٢.

(٢٤) كنانة، ثابت، التأثيرات الجيولوجية على النواحي الهندسية لمدينة الموصل، الندوة العلمية والتربوية السادسة، جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص١٢٢.

(٢٥) وهي قني او قنوات مائية تجري تحت الارض من قرميد او حجر، وقد اهتم المسلمين بشبكات المياه فمدوا الاقنية الى مسافات بعيدة لإيصالها الى الصهاريج والقصور والبساتين والحقول ومساجد المدن وحماماتها ومنازلها، ينظر: غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الاسلامية، ط١، بيروت، ١٩٨٨، ص٣١٩.

(٢٦) خروفة، نجيب، المصدر السابق، ص٤٥؛ كذلك آغا، المصدر السابق، ص١٠٣.

(٢٧) الجمعة، الاستعدادات العسكرية، المصدر السابق، ص٨٣.

(٢٨) الجمعة، المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل، مجلة آداب الرافدين، ع (١٦)، ١٩٨٦، ص٣٢٣.

(٢٩) الجمعة، المظاهر الدفاعية، المصدر السابق، ص٣١١.

(٣٠) أغا ،المصدر السابق، ص ٤٢.

(٣١) ابن هشام، عبد الله بن هشام بن ايوب الحميري المعافري، ابو محمد جمال الدين المتوفى (٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج٢، ص٢٥٤.

(٣٢) اليوزبكي، توفيق سلطان، والجمعة ،أحمد قاسم: دراسات في الحضارة العربية الإسلامية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٩٥، ص٢٤٩.

(٣٣) الصالحي، واثق، الحضر، التنقيب في البوابة الشمالية، سومر، مديرية الآثار العامة، بغداد، ع(٣٦)، ١٩٨٠، ص١٧٧-١٧٩.

(٣٤) الجمعة، الاستعدادات العسكرية، المصدر السابق، ص٢٦.

(٣٥) العميد، طاهر مظفر، تخطيط المدن العربية الإسلامية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص٢٩٠.

(٣٦) سلمان، عيسى، تخطيط المدن، حضارة العراق، مج (٩)، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٠

(٣٧) أغا عبد الله، المصدر السابق، ص٦١.

(٣٨) سفر، فؤاد، والنقشبندي، أسامه ناصر، دائرة الآثار والتراث، إضباره، ٣٥\١٣٤، أغا، المصدر السابق، ص٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٣٩) التقرير النصف السنوي عن أعمال التنقيب في مدينة بلد {أسكي موصل} للفترة من ١٩٩٠/٢/١٥ ولغاية ١٩٩٠/٦/٣٠، المديرية العامة للآثار والتراث، ص٤.

(٤٠) رؤوف، صبيح محمد، والعبيدي، صلاح حسين، المظاهر العسكرية لحصن الاخيضر، مديرية الآثار العامة، بغداد، سومر، ع (٣٢)، ١٩٨٦، ص١٣٨.

(٤١) عثمان، محمد عبد الستار، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٤٢) تل الصوانْ: سمي بهذا الاسم نسبة لكثرة ما عثر فوق سطحه من بقايا ادوات وشظايا الاحجار المتنوعة منها حجر الصوان وحجر الزجاج البركاني الأسود، ويقع التل على الجانب الشرقي من نهر دجلة محاذيا له تماما وإلى الجنوب من مدينة سامراء الحالية بمسافة (١١) كم، وأن هذه التسمية حديثة أطلقها المنقبون على الموقع والذي تبين أنه يعود إلى الألف السادس قبل الميلاد، يوحنا، دوني جورج، عمارة الألف السادس قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص١ و ١٠٢.

(43) F E L – wailly and B. a\Abu Es-soof "The excavations at tall Es-sawan. First preliminary report(1964). "sumer. vol. xx1. (1965). p. 17.

(٤٤) الدراجي، سعدي إبراهيم ، القلاع في شمالي العراق، ١٢٨٩-١٦٢٥هـ/١٨٧٢م، تخطيط وعمارة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص١٢٩.

(٤٥) مورتكات، انطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٥، ص٦٦-٦٨.

(٤٦) تحدث كثير من الرحالة عن المدن الواقعة على طريق التجارة المار ببلد وذكر المسافات بينها وبين المدينة، ينظر: أبن خرادذبه، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ص٩٥-٩٦، وقدامة بن جعفر، (ت٣٢٠هـ)، الخراج وصنعة الكتابة، مكتبة المثنى، بغداد،(ب ت)، ص٢١٤، كذلك ، الحموي، شهاب الدين آبو عبدالله ياقوت (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ج (١)، بيروت (ب ت)ص ٥٧١،، أغا، ص٢٧، الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، (٣٤٠ هـ)، المسالك والممالك، ليدين ، مطبعة الاوفسيت، بغداد،١٩٢٧، ص٧٢.

(٤٧) ممن أقام في بلد الخليفة المهدي وذلك سنة (١٥٨هـ)، وكذلك سنة (١٦٣هـ)، والخليفة المتوكل سنة (٢٤٣هـ)، ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، مصر، المطبعة الحسينية، (١٣٢٦هـ)، ص٥٥. وسيف الدولة الحمداني، ينظر: اغا، عبد الله، المصدر السابق، ص٤٧. وصلاح الدين الايوبي، ينظر: ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن عبي بن أبي مكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت (٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥، ج١١، ص١١.

(٤٨) التقرير النصف السنوي عن أعمال التنقيب في مدينة بلد {أسكي موصل}، المصدر السابق، ص٦.

(٤٩) سليمان، برهان شاكر، نتائج أعمال التنقيب في مدينة بلد اسكي موصل (١٩٩٦، مديرية الآثار العامة، سومر، ج (١-٢)، م (٥٠)، ١٩٩٩-٢٠٠٠، ص٢٦٥.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٢٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٥١) المصدر نفسه، ص٢٦٥.

(٥٢) الجمعة، احمد قاسم، المظاهر الدفاعية، المصدر السابق، ص٣١٣.

(٥٣) فكري، احمد، مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة، ١٩٦١، ٣٤٧.

(٥٤) العميد، طاهر مظفر، المصدر السابق، ص٤٧٠.

(٥٥) العميد طاهر مظفر، بغداد مدينة المنصور المدورة، النجف، ١٩٦٧، ص٢٢٠-٢٢١.

(٥٦) شافعي، فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مج (١)، القاهرة، ١٩٧٠، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٥٧) التقرير النصف سنوي عن اعمال التنقيب في مدينة بلد اسكي موصل للفترة من ١٩٩٠/٢/١٥ ولغاية ١٩٩٠/٦/٣٠، تتألف الهيئة من السيد منهل جبر اسماعيل رئيساً والسيدة نجاة يونس محمد عضواً والسيد كاظم محمد كاطع عضواً، ص٦.

(٥٨) العميد، طاهر مظفر، المصدر السابق، ص٤٦٩.

(٥٩) الدراجي، سعيد ابراهيم، القلاع في شمالي العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص٦٩.

(٦٠) تقرير التنقيب لموسم ١٩٩٠، المصدر السابق، ص٤، ٦.

(٦١) رؤوف، والعبيدي، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٦٢) استناداً إلى الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث، بتاريخ ٢٠١١/٤/٣.

(٦٣) المصدر نفسه.

(٦٤) الجمعة، أحمد قاسم، المظاهر الدفاعية، المصدر السابق، ص٣١٥.

(٦٥) الجمعة، احمد قاسم، المآذن، موسوعة الموصل الحضارية، المصدر السابق، ص٢٩٩.

(٦٦) الياس، فرحان محمود، العمارة الدينية والخدمية في مدينة بلد (اسكي موصل) في ضوء التنقيبات الأثرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٠، ص١٨٢.

(٦٧) العميد، طاهر مظفر، المظاهر العسكرية، المصدر السابق، ص٤٦٩.

(٦٨) الدراجي، سعدي إبراهيم، المصدر السابق، ص٦٤.

(٦٩) لاحظنا ذلك على جدران القلعة اثناء زيارتنا لها في سنة ٢٠٠٧ ويبدو ان هذا الحال كان قبل ذلك بعقود بدليل ما لاحظه الاستاذ سعدي ابراهيم الدراجي الذي ذكره في رسالته عند حديثه عن القلعة، ص٦٤.

(٧٠) هذا ما لاحظناه في هذه الجهة، ولكون الجدران بحالة تسمح في تتبع موقع المزاغل.

(٧١) عثمان، محمد عبدالستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨، ص١٣١.

(٧٢) بيج، بيرتوب، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١، ص١٧.

(٧٣) المصدر نفسه، ص١٧.

(٧٤) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج(١)، بغداد، ١٩٧٣، ص٥١٧-٥١٨.

(٧٥) الدراجي، سعدي ابراهيم، المصدر السابق، ص٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٧٦) عبد الله، يوسف خلف، الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث (٩١١– ٦١٢ ق. م)، بغداد، ١٩٧٧، ص١٦٩.

(٧٧) استناداً إلى الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث، بتاريخ ٢٠١١/٤/٣.

(٧٨) النعيمي، فيان موفق رشيد، معالجة المشكلات البيئية في عمائر الموصل خلال العصور الاسلامية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٧، ص ص ١٠٢–١٠٦.

(٧٩) استناداً إلى الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث، بتاريخ ٢٠١١/٤/٣.

(٨٠) المصدر نفسه.

(٨١) استناداً إلى الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث، بتاريخ ٢٠١١/٤/٤.

(٨٢) المصدر نفسه.

(٨٣) كان هذا الجزء شاخصاً أثناء زيارة المستشرق الألماني رايتلنجر البناء سنة ١٩٣٦، أما في الوقت الحاضر فقد تداعت معظم أجزائه، ولهذا استعنا بالصورة التي أخذت له في ذلك الوقت.

(٨٤) استناداً إلى الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث، بتاريخ ٢٠١١/٤/٥.

(٨٥) الدراجي، المصدر السابق، ص٦٤.

(٨٦) المصدر نفسه، ص٦٤.

(٨٧) استناداً إلى الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث، بتاريخ ٢٠١١/٤/٦.

(٨٨) المصدر نفسه.

(٨٩) سفر، فؤاد، والنقشبندي، أسامه ناصر، الإضبارة الخاصة بمدينة أسكي موصل وخرائبها، مديرية الآثار العامة، إضبارة ٣٥\١٣٤.

(٩٠) حول تاريخ القلعة والادوار المعمارية التي مرت بها ينظر، ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، ج (٩)، ص٦٣٩، و ج (١١)، ص٣٣٢، وكذلك ابن جبير، محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) رحلة أبن جبير، دار الكتاب المصري، بيروت، ١٩٦٤، ص ٢١٠. وابن الفوطي، أبو الفضل عبد الرزاق (٧٢٣)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعيان المائة السابعة، بغداد ١٩٣٢، ص٣٤٦–٣٤٧. والديوه جي، سعيد، بحث في تراث الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ص٩٤. كذلك، العمري، ياسين، منية الأدباء من تاريخ الموصل الحدباء، عني بنشره وتحقيقه سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل، ص١٩٥٥، ص٧٣، ٢٢٣–٢٣٧.

(٩١) تذكر الروايات انه كان في قلعة الموصل سجن تحت برجها، يعرف {بالزندان} وأستخدم كمخزن للعتاد والذخيرة، وربما اتخذوا فيه سجن لمن يخشون بأسه، الديوه جي، المصدر السابق، ص٩٩.

(٩٢) القصيري، اعتماد، قلاع بغداد، سومر، مج (٤٥)، (١٩٨٧–١٩٨٨)، مديرية الآثار العامة، بغداد، ص١٩.

(٩٣) أغا، المصدر السابق، ص٦٣.

(٩٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن حديد (ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، ج١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٦هـ، ص١٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٩٥) دفتر، ناهض عبد الرزاق، المسكوكات، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص١٥٩.

(٩٦) الرواف، سميرة نوري، نقد نحاسي للأمير موسى الخثعمي، مجلة المسكوكات، الهيئة العامة للآثار والتراث، ع (١٤-١٥)، ٢٠٠١-٢٠٠٢، ص٣٤-٣٥.

(٩٧) وهو المعروف بموسى بن مصعب الخثعمي تولى مناصب عديدة منها في عهد الخليفة المنصور، إذ تولى إدارة الموصل والجزيرة سنة ١٥٤هـ. وكذلك في خلافة المهدي ولي على الموصل سنة ١٦٦هـ أيضا. ينظر: الأزدي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٢؛ الرواف، المصدر السابق، ص ٣٤-٣٥؛ ذنون، يوسف، موسى بن مصعب الخثعمي والي الموصل في عهدي المنصور والمهدي بين التاريخ والآثار، مجلة أوراق موصليه، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ع (٤)، ٢٠٠٣، ص٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com